أعلام المسلمين
٤

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

أميرٌ شهيدٌ وشاعرٌ على سريرٍ من ذهب

« رحم الله ابن رواحة إنه يحبُّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » حديث شريف

الدكتور جميل سلطان

دار القلم
دمشق

الطبعة الخامسة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١.

دعاء

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، ولا فضل إلا ما ارتضيت للناس فضلاً ، الخير فيض من شرعة صفيّ أصفيائك ، والهدْي نور من سنة أحب أحبّائك ، شريتَ نفوس المؤمنين صافية بنعماك ، وتقبّلتَ أعمالهم خالصة برضاك .

فليكن ما ابتغيتُ من أمل ، وما أمضيتُ من جهد وعمل ، خالصاً لأنوار ذاتك ، معطّراً بخاتم هداياتك ، عسى أن يكون فيه دعوة مؤمنة إلى المثل العليا ، وصيحة مخلصة للترفع عن الدنيا ، فيُقبل بإسباغ الفضل من مرضاتك ، وإشراق الكريم من صفاتك ، إنك أنت السميع العليم .

هـذا الرّجُـل

« نعم الرجل عبد الله بن رواحة »

« رحم الله أخي عبد الله بن رواحة، كان أينا أدركته الصلاة أناخ»

محمد رسول الله ﷺ

« لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، في اليوم الحار الشديد الحر ، حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه، وما في القوم صائم الا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»

أبو الدرداء الصحابي

« ما رأيت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من ابن رواحة »

الزبير بن العوام الصحابي

«... وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة »

الامام ابن كثير

« ... وقالوا : كان عبد الله أول خارج الى القتال ، وآخر قافل منه »

الامام ابن حجر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

كان هـذا الكتاب في الأصل محاضرة ألقيناها في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بعد الألف[1] ، في بهو المحاضرات من المجمع العلمي العربي بدمشق[2] ، بعنوان « شاعر على سرير من ذهب » .

وقد تساءل الكثير من الناس يومذاك عن صاحب هـذا السرير الذهبي ، وراحوا في ذلك مذاهب شتى : أتراه جاهلياً كان أم اسلامياً ؟ وهل هو النابغة الذي كان يأكل في صحاف الذهب والفضة ، أم ابن المعتز الذي كان يرفل في أثواب النعيم ؟ أيكون ابن أبي ربيعة الذي كانت له سرر أثمن من الذهب ، أم أنـه ابن زيدون الذي تقلّب في أعطاف الهناءة والهوى ؟ ...

---

(١) يوافق ذلك التاريخ ١٧ آذار ١٩٤٤ م

(٢) مجمع اللغة العربية اليوم

ولقد كان المتساءلون جميعاً لا يرتفعون عن التفكير في الدنيا الفانية وأعراضها الزائفة ؛ فان أحداً منهم لم يذكر سرير الشهيد في الفردوس ، وما يرزقه الله تعالى من الفضل السابغ والنعيم المقيم .

هذا الشاعر ذو السرير الذهبي هو الأمير الشهيد عبد الله ابن رواحة الأنصاري ، صاحب رسول الله ﷺ وشاعره ، ولقد أغفله الرواة والمترجمون ؛ إلا في القليل من الأخبار والاشعار ، والمتفرق من الاشارات واللمحات .

وقد عمدنا إلى المصادر متتبعين مستقصين ؛ حتى تمّ لنا ما جاء في المحاضرة التي طبعت بعنوان « شاعر على سرير من ذهب » ثم أعقب ذلك توسع واستقصاء ؛ نتيجة البحث المستمر ، ورغبة في أن يكون هذا الكتاب في موضع يرضي من السلسلة الكريمة عن « أعلام المسلمين » التي تصدرها دار القلم بتوفيق الله ورعايته .

والله المسؤول أن يجعل من عملنا جميعاً مايكون فيه الخير والسداد ، والنفع والرشاد ، والزاد ليوم المعاد .

جميل سلطان

ابنُ رَوَاحَــة

عبد الله بن رواحة مثل من الأمثلة الصادقة في الايمان والإخلاص ، والتفاني في سبيل المبدأ . اجتمع له من الخصال الكريمة ما لم يكد يجتمع لسواه ، فهو زعيم مطاع ، وفارس شجاع ، وقائد مجرَّب ، وصحـابي مقرَّب ، وشاعر شديد ، وشهيد سعيد .

صرف كل هـذه السجايا الطيبة في سبيل تأييد الدعوة الاسلامية الجديدة، والذود عن حياضها أيام البعثة والحروب، وإذا ذُكرت المدينة المنورة في التاريخ الاسلامي بالإكبار والإعجاب لما كان لها من سابقة في دعم الاسلام ونصرة الرسول ﷺ ،فلقد كان عبد الله من بناة مجدها ، بـل كان من أعلام أولئك البناة

الذائدين عن كلمة الحق الخالدة ، إذ شهد الحروب والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، إلا الفتح وما بعده ،فإنه كان قد استشهد في سبيل الله عز وجل ،

وإلى القارىء الكريم -في هذا الكتاب- سيرته وعبقريته في الجاهلية والاسلام :

نَسَبُهُ وَجَاهِلِيَّتُهُ

نَسَبُهُ وَجَاهِلِيَّتُه

نسبه وأسرته :

هو عبد الله بن رواحة ، بن ثعلبة ، بن امرىء القيس ، ابن عمرو ، بن امرىء القيس الأكبر ، بن مالك الأغر ، بن ثعلبة ، ابن كعب ، بن الخزرج ، بن الحارث ، بن الخزرج ، الأنصاري الخزرجي (من بني الحارث في يثرب) .

وكان يكنى بأبي محمد ، أو أبي رَوَاحة ، وقيل : إنه كان يكنى بأبي عمرو أيضاً .

وأمه كبشة بنت واقد ، بن عمرو ، بن الأطنابة ، بن عامر ابن زيد مناة ، ابن مالك الأغر ، فهي خزرجية مثله ، يتصل نسبها بنسبه عند جده مالك الأغر .

وكان عمرو بن امرىء القيس أحد أجداد عبد الله ممن

يرجع إليهم في مشاكل الجاهلية ، فيحكم بين الناس، وينفذ فيهم قضاؤه . وإذا نظرنا في نسبه ، تبينا أنه من أشرف أنساب الخزرج ، فيه زعامة ورئاسة وفروسية وتضحية ، اتصلت بالأبناء من الآباء حتى انتهت إلى هذا الصحابي الجليل ، فكان رفيع القدر في قومه، عظيم الكلمة، سيداً في الجاهلية وفي الاسلام

وكان النعمان بن بشير ــ الصحابي الجليل ــ ابنَ أخت عبد الله . وهي عَمْرة بنت رواحة ، وفيها يقول قيس بن الخطيم شاعر الأوس متحدثاً عن شرفها ، متغزلاً بها :

أجدّ بعمرةَ غنيانُها　　　فتهجر أم شاننا شانُها

وعمرة من سَرَوات النسا　　　ء تنفح بالمسك أردانُها[1]

وقد ذكر ابن حجر أنه ليس لعبد الله عقب في السابقين الأولين من الأنصار[2] ، وذكر ياقوت في ترجمة أبي علي الأنصاري الحموي : أنه الحسين بن إبراهيم ... ابن عبد الله بن

---

(١) الأغاني (١٤ : ١١٤)

(٢) الإصابة (٢ : ٣٠٦ ــ ٣٠٧)

رواحة ،وأنه قتل شهيداً كجده في واقعة مرج عكا أيام صلاح الدين والصليبيين ، ثم أورد له من الشعر :

إن كان يحلو لديك قتلي   فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوفَ بيني   وبينك اللهُ في الحساب[1]

وإذا كان لنا أن نستنتج شيئاً من أسرة عبد الله ، فهو أنها تمتاز بالفروسية والسيادة والتضحية والشعر في جاهلية العرب وإسلامها ، وهي خصال لا تنبت إلا خصالاً كريمة مثلها ، وكذلك يُحتفظ بإرث الأجداد ، ليطبع على غراره الحفَدة على توالي الأزمان والآباد .

جاهليته :

وقد عني بعبد الله في الجاهلية ، شأن أبناء الأسر الكريمة، فإن الذي تولى تربيته نشّأه تنشئة حسنة قلّ مثلها ، إذ كان يقرأ ويكتب من صغره ، وكانت الكتابة نادرة يومذاك في العرب الأولين ، كما قرض الشعر صغيراً ، ولما اشتد ساعده

(١) معجم الأدباء (١٠ : ٤٦)

فيه أصبح شاعراً خطراً ، يناقض قيس بن الخطيم في الأيام التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية ، وكان يتغزل بليلى أخت قيس ، وكان قيس يتغزل بعَمْرة أخت عبد الله كما مر.

إسلامه ومشاهده

«... وقالوا : كان عبدالله أول خارج الى القتال ، وآخر قافلمنه»

الامام ابن حجر

إسلامه ومشاهده

إسلامه :

إذا رجعنا بالفكر إلى أيام الاسلام الأولى ، وجدنا في أصحاب الرسول ﷺ رجالاً لا ينضب معين الحديث عنهم ، وآخرين لا يدانون أولئك في شهرة ولا في ظهور ، والفريقان في ركب الهدى يتسايران ، وفي نصرة القضية الواحدة لايختلفان .

وكان من ألمع الصحب شخصيةً ، وأظهرهم أثراً ، صاحبنا ابن رواحة . فهو لايكاد يغيب عن أنظارنا في السيرة منذ إسلامه إلى أن لقي الله تعالى شهيداً مكرّماً ، لأنه شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها . .

وأول مشهد نراه فيه : العقبة الثانية مع السبعين من

الأنصار يوم أخذ النبي ﷺ عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وأُزُرهم[1] .

وقد أقام الرسول ﷺ حينئذٍ عليهم اثني عشر نقيباً ، كان عبد الله بن رواحة أحدهم ، وكان هو وسعد بن الربيع نقيبي بني الحارث بن الخزرج[2] .

وكان البراء بن معرور زعيم الذين بايعوا يومذاك[3] .

وحينما تمت البَيْعة واستأذنوا النبي ﷺ أن يميلوا على أهل مِنى بأسيافهم ،قال ﷺ : « لم نؤمر بذلك » فرجع القوم يمهدون الأمر للرسول ، ولأعظم هجرة كانت في الدنيا .

في بدر

ثم هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب ، وهاجر من القرشيين من استطاع ،فآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بين عبد الله بن رواحة والمقداد بن عمرو[4] ، وأصبح عبد الله

---

(١) كناية عن أزواجهم .

(٢) الإمتاع للمقريزي (ص١٥١) (٣) الإمتاع (ص٣٦)

(٤) الاصابة (٢:٣٠٦)

ابن رواحة شاعر النبوة ، وأحد أمناء الوحي ، يكتب بين يدي رسول الله ﷺ . ثم كان من أمر العير ما كان ، وإذا المسلمون وقريش في بدر يتهيؤون للقتال في رمضان من السنة الثانية للهجرة .

وكان الرسول ﷺ قبل بدء النزال في العريش الذي نصبوه له ، وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع فغشيه نوم ، وكان قد قال : « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن كثبوكم ـ قاربوكم ـ فارموهم ، ولا تسلُّوا السيوف حتى يغشَوكم » . فقال أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله مضطجع : يارسول الله ، قد دنا القوم ، وقد نالوا منا . فنهض الرسول ﷺ وهو رافع يديه يناشد ربه ماوعده من النصر ، ويقول : « اللهم إن تُظهِر على هذه العصابة[1] ـ يريد المسلمين ـ يَظهر الشرك ولا يقم لك

(١) العصابة : الجماعة من الناس ، وليس في أصل معناها مهانة ، وقد مدح حسان بن ثابت ملوك غسان فقال :

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّق في الزمان الأول

دين ، وأبو بكر يقول : « والله لينصرنّك الله ، وليبيضنّ وجهك » .

وكان عبد الله بن رواحة جريئاً ، يغلي إيماناً وثقة بالله تعالى ، فلم يتمالك نفسه أن يقول : « يارسول الله ، إني أشير عليك -ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يشار عليه- إن الله أجلّ وأعظم من أن ينشد وعده » .

فقال ﷺ : « يابن رواحة ، الا أنشد الله وعده ؟ إن الله لا يخلف الميعاد[1] » .

ويومئذ قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه قوله الذي أشرق له وجه الرسول ﷺ وسره : يارسول الله ، لا نقول كما قال قوم موسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيد النبي ﷺ يقول له: حسْبك ،ورسول الله يقول : «اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد »ثم خرج ﷺ يبشر المؤمنين بالنصر ويقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) .

---

(١) الإمتاع (ص٨٤)

ثم كان من أمر المبارزة الأولى أن قتل حمزة بن عبد المطلب الأسودَ بن عبد الأسد المخزومي ، فخرج ثلاثة من المشركين :عتبة بن ربيعة ،وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فَصَلوا من الصف إلى المبارزة خرج إليهم ثلاثة فتيان من الأنصار : صاحبنا عبد الله بن رواحة ، وعْوذ ومعاذ ابنا الحارث ، ولما عرف المشركون أن هؤلاء من الأنصار طلبوا أكفاءهم من قومهم استكباراً وكفراً ، فأخرج الرسول ﷺ حمزة وعبيدة بن الحارث وعلياً . فقتل حمزة شيبةَ ،وعليٌ الوليدَ ، أما عبيدة فقد اختلف هو وعتبة بضربتين ،وأصاب كل منهما صاحبه،فكرَّ حمزة وعلي على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ، ومخها يسيل ، وجاءا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ألستُ شهيداً يارسول الله ؟ قال :«بلى » فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أني بما قال أحق منه حيث يقول :

ونُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّع حوله ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

وبعد أن كتب النصر للمسلمين في بدر،مر ﷺ بالأُثَيْل

قبل غروب الشمس فبات فيـه ، وقدَّم عبـد الله بن رواحة وزيد بن حارثة[1] إلى المدينة شـدَّ الضحى ـ قبل الزوال ـ من يوم الأحد، يبشران أهل المدينة ـ عاليتها وسافلتها ـ بما فتح الله على المسلمين ، فنادى عبد الله في أهل العاليـة[2] : يامعشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم، ثم أتبع دور الأنصار فبشرهم .

وقدِم زيد بن حارثة على ناقة الرسول ﷺ القصواء يبشر أهل السافلة فلم يصدق المنافقون ، وتلقى النـاس رسول الله بالروحاء يهنئونه بفتح الله ،ودخل المدينة من ثنية الوداع يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان ، فتلقاه الولائد بالدفوف وهن يقلن :

طلع البـدر علينـا   من ثنيَّات الوداع
وجب الشكر علينا   مادعـا لله داع[3]

---

(١) ترافق الرجلان في مؤتة حيث استشهدا في يوم واحـد ، رضي الله عنها .

(٢) أهل العالية هم :بنو عمرو بن عوف ، وخطمة ، ووائل .

(٣) الإمتاع (ص٩٩).

ولما جيء بالأسرى المشركين قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر: يارسول الله قومك وأهلك ،استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر :يارسول الله كذّبوك وأخرجوك ،فقدّمهم واضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله ، أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ناراً ، ثم ألقهم فيه .

فسكت رسول الله ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً ، ثم قام فدخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله من رواحة .

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « إن الله ليليّن قلوب رجال حتى تكون ألين من اللَّبَن ، وإن الله ليشدّد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال:(فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال : (ان تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)وإن مثلك ياعمر كمثل موسى عليه السلام،

قال :(ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ،فلا يؤمنوا حتى يرَوا العذاب الأليم) وإن مثلك ياعمر كمثل نوح عليه السلام قال : (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً) أنتم عالة ـ أي فقراء والكلام موجه للصحابة ـ فلا ينفكن أحدمنهم إلا بفداءأو ضربة عنق .

فأنزل الله في عتاب المؤمنين وإيثارهم عَرَض الدنيا ، « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عَرَض الدنيا،والله يريد الآخرة ،والله عزيز حكيم . لولا كتابٌ من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم[1] » .

فكان رأي عمر من موافقاته التي أرادها الله سبحانه[2] .

ولم يبعد عنه رأي ابن رواحة في الشدة على أعداء الله ، وإن كان التعذيب بالنار لايكون إلا من الله سبحانه ،إذ يقول عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار ،

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ ـ ٣٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ ـ ٢٨٥ .

وإن النار لا يعذب بها إلا الله[1] » .

في أحد

وحضر عبد الله موقعة أحـد ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، ولقد حزَّ في قلبه مقتل حمزة رضي الله عنه فيها ، ولما كان مأتمه ، جاء كل رجل بنساء قومه ينحن على حمزة ، وجاء عبد الله بنساء بني الحارث بن الخزرج، ليشارك في ذلك الحزن العام، ولكن الرسول ﷺ قال له : « ما أردت هذا ! » ونهاهنَّ الغد عن النوح أشد النهي .

ورثى عبد الله حمزة رضي الله عنه بقصيدة أولها :

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء أو العويلُ
على أسـد الإله غداة قالوا : ... أحمزة ذاكم الرجل القتيلُ

وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة .

عبد الله أمير لعاصمة الاسلام

وحينما انصرف أبو سفيان من أحد نادى : « موعد بيننا

---

(١) أخرجه البخاري والنسائي .

وبينكم بدر الصفراء، رأس الحول، نلتقي فيه فنقتتل» فقال عمر رضي الله عنه - وقد أمره الرسول ﷺ -: «نعم إن شاء الله».

وكانت بدر الصفراء مجمعاً للعرب في سوق تقام لهلال ذي القعدة إلى ثمانٍ منه، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وكان يُظهر أنه يريد الغزو، فتأهب له المسلمون، فأرسل من يخذِّلهم عن المسير، فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقالا: «يا رسول الله، إن الله مُظهرٌ دينهِ ومعزٌّ نبيه، وقد وعدنا القوم موعداً ولا نحب أن نتخلف، فيرون أن هذا جبن، فسِرْ لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخَيَرة».

فسرَّ الرسول ﷺ ثم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجنَّ وإن لم يخرج معي أحد» فخرج المسلمون إلى بدر بتجارات ربحت كثيراً.

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة، وسار في ألف وخمسمائة، فيهم عشرة أفراس، وحمل لواءه علي رضي الله عنه[1].

---

(١) الإمتاع (ص١٨٤)

ودعا أبو سفيان قومه إلى الرجوع متعللاً بجدب العام ، فسمّي جيشه جيش السويق،وعاد الرسول ﷺ وصحبه بعد غيبة ست عشر ليلة ، كان أمير العاصمة الاسلامية فيها عبد الله ابن رواحة .

وكان ذلك في السنة الرابعة للهجرة ، وهذه هي غزوة « بدر الموعد » .

في الخندق

وشهد ابن رواحة الخندق ، وكان رسول الله ﷺ ينقل التراب يومئذ مع القوم حتى وارى التراب بياض إبطيه ،ويرتجز برجز عبد الله بن رواحة :

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الذين[1] قدبَغَوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان الرسول ﷺ يرفع بها صوته :« أبينا... أبينا ».

وكابد عبد الله ما كابد المسلمون في هذه الموقعة ، وكانوا

---

(١) في الأصل « الألى » ولا يستقيم بها وزن الرجز .

يأكلون مما يبعث به أهلوهم . وكانت عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير وأخت عبد الله ـ وقد تقدمت الإشارة إليها ـ ترسل ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها، إلى زوجها بشير وإلى أخيها عبد الله .

ورآها الرسول ﷺ يوماً وهو جالس في أصحابه ،فقال: « تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ » فأخبرته فأخذه في كفيه ونثره على ثوب بُسط له ، وأمر بأن ينادى بأهل الخندق ، فاجتمعوا يأكلون منه ،حتى صدَروا وإنه ليفيض من أطراف الثوب .

وكانت الخندق في الخامسة من الهجرة .

في المريسيع

وفي شعبان من السنة الخامسة أيضاً عاد عبد الله بن رواحة من غزوة المريسيع ، وكان معه رفيق له جابر بن عبد الله ، فأقبلا حتى انتهيا إلى وادي العقيق في وسط الليل ، والناس معرِّسون [1] ، فتقدم ابن رواحة إلى المدينة فطرق أهله ،

(١) التعريس : نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة.

فإذا مع امرأته إنسان طويل ، فظن أنـــه رجل ، وندم على تقدمه ، واقتحم البيت رافعاً سيفه يريد أن يضربهما ، ثم فكر وادّكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت وصاحت ، فقال : « أنا عبد الله فمن هـذا » ؟ » قالت رُحيلة ، سمعنا بقدومكم ، فدعوتها تمشطني ، فباتت عندي ». فبات وأصبح فخرج يلقى رسول الله ﷺ وهو سائر بـــين أبي بكر وبشير بن سعد الأنصاري ، فالتفت الرسول ﷺ إلى بشير ، فقال : « يا أبا النعمان ، إن وجه عبد الله ليخبرك أنه كره طروق أهله » فلما انتهى عبد الله إلى الرسول ﷺ قال رسول الله : « خَبَرُك يا بن رواحة ؟ » فأخبره ، فقال ﷺ : « لا تطرقوا النســاء ليلاً »

فـكان ذلك أول ما نهى عنه رسول الله ﷺ .

سرية عبد الله لأسير بن رزام

وفي السنة السادسة للهجرة [1] جعل اليهود سيداً عليهم

---

(١) قبل فتح خيبر وهو الأرجح عند بعض المحققين ، لأن المسير إلى خيبر كان في المحرم ، وافتتحت في صفر سنة سبـع للهجرة (ابن هشام ٢ : ٤٢) .

في خيبر أَسير بن رِزَام بعد مقتل زعيمهم العدو اللدود للمسلمين أبي رافع سلَّام بن أبي الحقيق ، الذي كان عبد الله بن عَتيك الأنصاري قد تولى قتله بيده[1] ، وقال أسير : والله ما سار محمد إلى أحد من يهود ، ولا بعث أحداً من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد ، وأنا صانع به ما لم يصنعه أصحابي ، فقالوا : وما عسيت أن تصنع ؟ قال : أسير في غطفان فأجمعهم لحربه، ونسير إلى محمد في عقر داره ، فإنه لم يُغزَ أحد في عقر داره إلا أدرك منه عدوه بعض ما يريد ، فقالوا : نعم ما رأيت !!. وجمع غطفان ، وسار لحرب المسلمين ، كما ورد .

ولعل الخبر بلغ النبي ﷺ قبل مسير رزام بجمعه الذي جمع ، فأرسل عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر ، سراً ليأتوا بخبر رزام وتآمره ، وذهب عبد الله إلى ناحية خيبر ، فدخل الحوائط والبساتين ، وسأل وعرف ، وذهب الثلاثة الذين معه متفرقين في الحصون ، فسمعوا ووعوا ، وعاد الجميع بعد ثلاثة أيام، فقدموا على رسول الله ﷺ لليال ٍبقين من رمضان

(١) السيرة الحلبية ٣:١٨٣ .

وجاء رجل آخر إلى رسول الله ﷺ يقول له : تركت أسير بن رزام يسير إليك في كتائب يهود ، فندب رسول الله ﷺ لقتاله الناس ، فانبرى ثلاثون رجلاً أمَّر عليهم عبد الله ابن رواحة ، فقدموا على رزام فقالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؟ قال : نعم ، ولي منكم مثل ذلك ، فقالوا : نعم ، فقالوا : إن رسول الله ﷺ قد بعثنا إليك لتخرج إليه، ليستعملك على خيبر ويكرمك ويحسن إليك ، فطمعت نفس رزام أن يتولى الإمرة من غير قتال ، فاستشار صحبه من يهود ، فنهوه وقالوا : ما كان محمد ليستعمل رجلاً من بني إسرائيل ،وهو مصر على دينه .قال :بل قد مللنا الحرب، ولعله قد ملَّ الحرب أيضاً ، وخرج مع المسلمين بمثل عددهم ، فكان مع كل رجل رديف من المسلمين ،وأردف أسير عبد الله ابن رواحة ،حتى إذا كانوا بقَرقَرة ـوهو موضع على بعد ستة أميال من خيبر ـانتبه أسير إلى أن الأمر قد لا يخلو من كيد ، فندم على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، وأرادالفتك بابن رواحة، وفطن له عبد الله حين رآه يريد السيف ،وتمتد يده إليه ،فكان

أسرع منه إليه، فاستله وضربه به ،فقطع رجله وهو يقول له: اغدراً عدو الله ، وأخذ يكررها ثلاثاً .

فسقط أسير عن بعيره ،وكان بيده مخدش فضرب عبدالله به فشجه في رأسه ،ومال المسلمون على أصحاب رزام ـ وقد تبين لهم الغدر منهم ـ فصرعوا جميعاً ، إلا واحداً جرى مسرعاً فأفلت منهم، وأقبل القوم على رسول الله ﷺ ـ وكان قد خرج إلى الثنية بجماعة من الصحابة ، كأنه يستبطىء مجيء المجاهدون أو يبحث عنهم ـ فحدثوه بما جرى فقال ﷺ : « قد نجَّاكم الله من القوم الظالمين » ومسح على وجه عبد الله وبارك شجته ، فلم تتقيح ، ولم يصبه منها أذى .[1] وكانت هذه السرية في شوال من السنة السادسة كما مر .

ولما فتح الرسول ﷺ خيبر سنة سبع للهجرة ساقَ يهود

---

(١) رويت هـــذه السرية بإمرة ابن رواحة في كتب السيرة كالدحلانية ٢/١٨٦ والحلبية ٣/٢٠٧ وفي هذه أن عبدالله بن أنيس هو الذي كان رديف أسير بن رزام ، وهو الذي قتله ، ولا إشارة لذلك في أسد الغابة عند ترجمة ابن أنيس .

على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، وقد بعث عبد الله رواحة يقدّر الزرع ويخرص عليهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعـدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه ، وبغضي لـكم على ألاَّ أعدل فيكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض !! وقال لهم بعد أن خرص : «إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصت » . وفي ذلك غاية العدل والإنصاف .

وخرص عليهم أربعين ألف وَسْق [1] ، وقد أرسله ﷺ إليهم لعلمه بـأرضهم ، وقد خرص لهم مرة أو مرتين [2] ، ثم وافته المنية شهيداً رضي الله عنه .

في الحديبية وعمرة القضاء

وفي السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ يريد

(١) يبلغ الوسق حمل بعير .

(٢) كما يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء (١: ١٦٦).

العمرة ، وساق معه الهَدْي ، وأحرم ، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً ، وكان أصحابه أكثر من ألف وأربعمائة ، وفيهم أبو بكر وعمر وابن رواحة وغيرهم ، وصدتهم قريش ، برغم علمها بحسن ماجاؤوا إليه، وعقدت بين الفريقين هدنة الحديبية، وكان فيها أن يأمن الناس الحرب عشر سنين ، وأن يرجع رسول الله ﷺ فلا يدخل عليهم مكة ذلك العام ، فإذا كان العام القابل ، خرجت قريش ، ودخل رسول الله بأصحابه ، فأقام فيها ثلاثاً معه سلاح الراكب فقط .

وفي العام السابع من الهجرة جاء رسول الله ﷺ مع من كان قد صُدَّ في عمرته تلك ، وأدى عمرة القضاء ، فدخل ﷺ مكة وقد ركب ناقته القصواء ، وأصحابه من حوله متوشحو السيوف يلبّون ، وعبد الله بن رواحة بين يديه آخذ بزمام ناقته وهو يرتجز ويقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله   قد نزّل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله   خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله   أعرفُ حقَّ الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله[1]

فقال عمر: «يا بن رواحة، أفي حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر؟!» فقال الرسول ﷺ «خلِّ عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لَكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل!!» ولم يزل الرسول ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمِحْجنه، وقيل لم يقطع التلبية حتى جاء عُروش مكة[2].

وتحدثت قريش أن المسلمين في جَهْد، ووقف منهم جماعات عند دار الندوة، فاضطبع عليه السلام بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: «رحم الله امرأً أراهم اليوم قوة» فلما انتهى إلى البيت ـ وهو على راحلته وابن رواحة آخذ بزمامها، وقد صُفَّ له المسلمون ـ دنا من الركن فاستلمه بمحجنه، وهرول هو والمسلمون في الثلاثة الأشواط الأول.

وكان عبد الله بن رواحة مايزال يرتجز في طوافه، فقال

---

(١) ابن هشام (٣:٤١٥) وتفسير ابن كثير (٦:٣٦٠).
(٢) العُروش: جمع عَرْش. أراد بيوت مكة.

له الرسول ﷺ : «إيهاً يابن رواحة! قل :لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده» . فقالها الناس ، فلما قضى طوافه خرج إلى الصفا ، فسعى على راحلته ، والمسلمون يسترونه من أهل مكة أن يرميه أحد منهم أو يصيبه بشيء . ونحر عند المروة ، وحلّق ثم دخل البيت[1] .

الأمير الشهيد في مؤتة

ولما كانت سنة ثمانٍ من الهجرة بعث الرسول ﷺ سرية إلى مؤتة ، وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق .

وسببها أن الحارث بن عمير الأزْدي لما نزل مؤتة بكتاب

---

(١) إمتاع الأسماع :٣٣٨ والاصابة ٢ : ٣٠٧ والطبقات الكبرى لابن سعد . وسميت هـذه العمرة عمرة القضاء لأن من صُد عن البيت فعليه القضاء (أبو حنيفة وأحمد) أو لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً سنة الحديبية ،فالقضاء هنا الفصل الذي وقع عليه الحكم ،لا لأنها قضاءعن العمرة التي صدّ عنها،لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها ،بل كانت عمرة تامة (الشافعي ومالك) (٢:٢٦٢ الدحلانية) .

رسول الله ﷺ إلى صاحب بصرى ،أخذه شرحبيل بن عمرو الغساني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على الرسول ﷺ ، وندب الناس ، فاجتمعوا ، ولما صلى الظهر قال : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله ابن رواحة فليرتضِ المسلمون رجلاً بينهم فيجعلوه عليهم » . وعقد لواءً أبيض ودفعه إلى زيد .

وخرج إلى مؤتة ثلاثة آلاف ، ووصاهم الرسول وصية من أروع الوصايا[1] فكان مما قال فيها :

« أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ... » ثم قال : لا تغدِروا ، ولا تغلّوا ، ولا تقتلوا وليداً . . . » ثم خاطب أمير الجيش ، فحمَّله تبعة المعركة وقوّى في نفسه مانسميه اليوم : الشعور بالمسؤولية ، فقال ﷺ : « وإن أنت حاصرتَ أهل حصن أو مدينة ، فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله ،فلا تستنزلهم على حكم الله ،ولكن أنزلهم على حكمك،

---

(١) الإمتاع ص(٣٤٥) .

فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ،وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله » . ثم خاطب الجند وأمرهم باحترام الحرية الدينية فقال :

« وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس ، فلا تتعرضوا لهم . . » ثم أوصاهم الوصية التي يجهد علماء الحقوق الدولية لتأييدها كيلا تكون الحرب بلاء مستطيراً وشراً شاملاً،فقال: «لا تقتُلُنَّ امرأة ،ولا صغيراً ضَرَعاً ـضعيفاًـ ولا كبيراً فانياً ، ولا تغرقُنَّ نخلاً ، ولا تقلعُنَّ شجراً ، ولا تهدموا بيتاً[1] » .

وودع الناس الأمراء ومَنْ معهم، ولما ودعوا ابن رواحة بكي ، فقالوا : ما يبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابي حب الدنيا ولا صبابة إليها ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ

(١) الإمتاع ص (٣٤٦) .

يقرأ : ﴿ وإن منكم إلا واردُها، كان على ربك حتما مقضيا ﴾[1]
فلست أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود ؟! فقال المسلمون :
صحبكم الله وردّكم إلينا صالحين، ودفع عنكم، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فَرْغ تقذف الزَّبدا
أو طعنةً بيديْ حرّان مَجهزةً بحربة تَنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جَدثي يا أرشد الله من غازٍ وقد رَشدا[2]

ثم أتى ابنُ رواحة رسول الله ﷺ فودعه ، وقال :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجهَ منه فقد أزرى به القدر
فثبّت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونصراً كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسةً خالفتهم في الذي نظروا[3]

ثم قال : « يارسول الله ، مرني بشيء أحفظه عنك »

---

(١) الآية ٧١ من سورة مريم .

(٢) الاستيعاب (١:٣٦١) خزانة الأدب (١:٣٦٢) ابن هشام (٣:٣٢٨–٤٢٩) وهذا تفسير لغريب هذه الأبيات .ذات فرغ: ذات سعة .الزبد:رغوة الدم (هنا) . حرّان : شديد العطش . الحدث:القبر.

(٣) في رواية :تقديم البيت الثالث على الأول ، وشطره الثاني =

فقال ﷺ « أنك قادم غداً بلداً السجودُ فيـــه قليل ، فأكثر السجود » .

قال : « زدني يارسول الله » قال: « اذكر الله ، فإنه عون لك على ماتطلب » .

فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع، فقال : « يارسول الله ، إن الله وتر يحب الوتر » فقال ﷺ : « يابن رواحة . ماعجزت فلا تعجزنَّ ، إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة » فقال : لا أسألك عن شيء بعدها [1] .

وخرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيِّعهم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلَف السلامُ على امرىء ودعته   في النخل خيرِ مشيِّع وخليل

وكان زيد بن أرقم يتيماً في حِجر عبد الله بن رواحة ،

= هكذا « والله يعلم أن ما خانني البصرُ » كما وردت كلمة « النبي » بدل الرسول « وشفاعته » بدل « نوافله » و « يوم الحساب » بدل « الوجه منه » وتثبيت موسى ، بدل « في المرسلين » .

(١) إمتاع الأسماع ص٣٤٦ .

فحمله في حقيبة رحله ، وخرج به غازياً في هــــذه السرية ، فسمعه زيدمن الليل يتمثل بأبياته التي منهاهذه يخاطب بها ناقته :

إذا أدنيتني وحملتِ رَحْلي　　مسيرةَ أربــــع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخَلاك ذمٌ　　ولا أرجــعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنونـ وخلَّفوني　　بأرض الشام مشهورَ الثَواء
وردّك ِكلُّ ذي نسبٍ قريبٍ　　إلى الرحمن منقطعَ الرجاء[1]
هنالك لا أبالي طلعَ بعْلٍ　　ولا نخلٍ أسافلها رِواء[2]

---

(١) في رواية أسد الغابة : الإخاء (٢٣٦ ـ ط الشعب)

(٢) في الخزانة : إذا أديتني ...؛ الحساء: جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابة . لا أرجع : مجزوم بالدعاء : اللهم لا أرجع . ومنتهي الثواء بدل مشهور : منصوب على الحال . وبر عبد الله بن رواحة بناقته وإطلاقه سراحها إذا بلغته مناه أحسن من قول الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحلي　　عرابة فاشرقي بدم الوتين

فإن من عدم الإحسان أن يعقر الناقة جزاء لها على معروفها ، ومثل هذا كمثل الأنصارية المأسورة بمكة ، وقــــد نجت على ناقة فقالت : يا رسول الله ، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال ﷺ : «لبئس ما جزيتها » (الموشح ٦٨) .

فبكى زيد ، فخفقه ابن رواحة بالدِّرَّة وقال : ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل ؟!

وقال له في رحلته هذه :

يا زيدُ زيد اليعملات الذُّبَّل تطاول الليل هُدِيت فانزل[1]

أي انزل وسق بالقوم[2]

وبلغ المسلمون مؤتة بعد أن أقاموا يومين بمعَان ،وهرقل يومئذ بمآب ، فرأوا كثرة الأعداء ،وكانوا مائة ألف من الروم،

---

(١) أسد الغابة (٣ : ١٥٩)

(٢) في الخزانة أيضاً : « أنه رأى في نوادر ابن الأعرابي أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها: يا زيدُ زيد اليعملات الذبل .. » قال أنشدني بكير بن عبيد الربعي ، ولا أعلم من هو ، أهو سابق على عبدالله ابن رواحة أم لاحق له ، والظاهر أنه بعده ، فإن الرجز في الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة ، وإنما قصّده وأطاله الأغلب » (١ : ٣٦٤) .

وعلى هذا فالأرجوزة الطويلة يغلب أن تكون منحولة وليست لعبد الله ؛ إلا أن يكون له أشطار منها ، ثم ألحق بها ما لم يكن فيها .

ومعهم من العرب مائة ألف[١] ، فأراد المسلمون أن يكتبوا إلى الرسول ﷺ ، فشجعهم عبدالله بن رواحة وقال : « والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ،ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، انطلقوا ، والله لقد رأيتُنا يوم بدر ما معنا إلا فرَسان ، ويوم أحد إلا فرس واحد ، فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعد نبينا ، وليس لوعده خلف ، وإما الشهادة فنلحق بالاخوان ،نرافقهم في الجنان »فقال الناس :«قد ـ والله ـ صدق ابن رواحة » .

فقال عبد الله في محبسهم :

جلبنا الخيل من أجإٍ وفرعٍ ... تُغرّ من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سِبتاً ... أزلّ كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على مَعانٍ ... فأعقب بعد فترتها جُموم
فرحنا والجياد مسوّمات ... تنفّس من مناخرها السَّموم

---

(١) وهم من : لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي .وكلهم من نصارى العرب .

فلا وأبي مـــآبُ لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتهـــا فجاءت عوابس والغبار لهـا بريم
بـذي لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوانسها النجوم
فَرَاضيةُ المعيشة طلقتهـــا أسنتهـا فتنكح أو تئيم [1]

ثم مضى الناس واستعرّ القتال والطعن والضرب حتى سقط زيد بن حارثة شهيداً وتبعه جعفر بن أبي طالب ، فدعا الناس عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ، فتقدم فقاتل حيناً، ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعَرْق [2] من لحم ، وقال له: شدَّ بهذا ظهرك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت !! فأخذه من يده فانتهش منه نهشة، ثم سمع الحَطْمة في الناس فقال لنفسه:

---

(١) تغو : تطعم شيئاً فشيئاً . السبت : النعل . أزل : أملس . الجموم: الاستراحة واستعادة النشاط . المسومات: المعلمات . السموم: الريح الحارة . مآب : موضع . البريم: الحزام . اللجب : كثرة الأصوات. القوانس : جمع قونس ، أعالي البيض من الخوذ . تئيم : تبقى أيماً بدون زوج (ياقوت ـ الطبري ـ ابن هشام) .

(٢) العرق : العظم الذي عليه بعض لحم .

« وأنت في الدنيا !! » وألقى العَرْق من يده ، ثم أخـذ سيفه وأسرع ، وقال مخاطباً نفسه :

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حِمامُ الموت قد صَليت
وما تمنيتِ فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت
وإن تأخرت فقد شقيت [1]

ثم حدَّث نفسه فقال ، فيما يذكر المؤرخون : « يا نفس إلى أي شيء تتوقـين ؟ إلى فلانـة : ـ امرأته ـ فهي طالق ، وإلى فلان وفلان : ـ غلمان له ـ فهم أحرار ، وإلى مِعجف ـ وهو بستان له ـ فهو لله ولرسوله ، ثم قال :

يا نفس مالك تكرهين الجنهْ أقسمُ بالله لتنزلنَّـهْ
طائعة أوْلا لتُكرهنَّه [2] فطالما قـد كنت مطمئنهْ

---

(١) في رواية : بدل حمام : حياض ، وبـدل أعطيت : لقيت. ويريد بقوله : فعلهما : فعل صاحبيه : زيد وجعفر .

(٢) في أسد الغابة (٢٣٧ ـ ط الشعب) لم ترد كلمة (لا) ، والصواب إثباتها لإقامة وزن الرجز .

هل أنت إلا نطفة في شَنَّهْ ؟! قد أجلب الناس وشدّوا الرّنه[1]

وحمي الوطيس فطُعن عبد الله بن رواحة ، فاستقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ، ثم صُرع بين الصفين، فجعل يقول : « يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم » . فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه ، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه شهيداً .

وكان رسول الله ﷺ قد قال له حينما أنشده قوله :

فثبّت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

« وأنت فثبّتك الله يا بن رواحة »

قالوا : فثبته الله أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له أبواب الجنة فدخلها سعيداً .

وقد روي[2] أنه لما أصيب القوم جاء الخبر من السماء في ساعته إلى النبي ﷺ ، فصعد المنبر ، وأمر فنودي : «الصلاة

(١) الرنة : صوت يشبه البكاء . النطفة : الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالي ، اي فيوشك أن تهراق النطفة ، أو ينخرق السقاء، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

(٢) رواية ابن الأثير في الكامل وغيره .

جامعة » فاجتمع الناس فقال : « ثار خبر ثلاثاً عن جيشكم هذا الغازي : إنهم لقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً ـ فاستغفَر له ـ ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً ـ فاستغفَر ـ له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، وصمت الرسول ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في ابن رواحة بعض ما يكرهون ، فقال الرسول ﷺ : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال ﷺ : لقد رفعوا إليَّ في الجنة ـ فيما يرى النائم ـ على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا ؟ فقيل لي : مضيا ، وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى فقتل[1] » .

(١) أسد الغابة (٣ : ١٥٩) والإصابة (٢ : ٢٠٧) والطبقات (٣: ٨٢) وابن هشام (٣: ٤٣٦) وفي بعض الروايات زيادة « لم يُعقب » أي لم يكن له نسل من بعده ، وقيل : بل هي : « لم يعقّب » أي لم يتردد . وفي المحيط : التعقيب : التردد في طلب المجد ، والانتظار والالتفات ، ولعل هذا المعنى أوفق ، لما ذكره ياقوت كما مر في الحديث عن نسبه وأسرته من هذا الكتاب .

وقال رسول الله ﷺ : « مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة ،له جناحان مخضّب القوادم بالدم » .

وقالت أسماء بنت عميس : « أتاني النبي ﷺ وقد فرغت من اشتغالي ، وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم ، فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه ، فقلت : يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال : « نعم ، أصيب هذا اليوم » ثم عاد إلى أهله ، فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فهو أول ما عمل في الاسلام لهذا الشأن .

وكانت مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة – أي سنة ٦٣٠ م – وإليها انتهى عمل ابن رواحة في المشاركة بتشييد الصرح العظيم من مجد الاسلام، رحمه الله رحمة واسعة[١] .

وقد خلف عبد الله في القيادة يومئذ خالد بن الوليد ،

---

(١) وقبره مع قبر صاحبيه اليوم في قرية « المزار » وهي مديرية ناحية تبعد عن مؤتة ثلاثة كيلو مترات إلى الجنوب، وكلاهما على الطريق المعبدة التي تربط عمان بالطفيلة ، ومعان جنوب بلدة الكرك في شرق الأردن (عن العدد ٥ من مجلة رسالة الأردن ١٩٥٩) .

فأخذ الراية ودافع الناس ، وأغار وأغير عليه حتى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ ،وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله ﷺ لقَّب خالداً حينذاك بسيف الله إذ قال : « اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره » وواقع الأمر أن انسحاب خالد كان نجاحاً ، إذ لم يغامر ، وبرغم غضب المسلمين على العائدين ، الذين أسموهم الفرار ،فقد قال رسول الله ﷺ عنهم: « ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرّار إن شاء الله » .

وبكى المسلمون شهداء مؤتة فقال حسان من قصيدة له :

فلا يُبعدنَّ اللهقتلى تتابعوا   بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبدُ اللهحينتتابعوا   جميعاً وأسباب المنية تخطر[1]

وذكر حسان جعفراً وزيداًوعبد الله في كثير من شعره، من ذلك ما قاله في عبد الله :

ثم جودي[2] للخزرجي بدمعٍ   سيداً كان ثم غير نزور

---

(١) ابن هشام (٣:٤٤١) .
(٢) يخاطب عينه .

وقال غيره ممن عاد من القتال :

كفى حزناً أني رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم ... وخلفت للبلوى مع المتغبر[1]

« وبعد فهلاً ترى إلى هذه العبرة والموعظة الحسنة ، فإنما معناها أن المؤمن لا يجوز له أن يتردد أو يخاف الموت في سبيل الله ، بل يجب عليه كلما مضى في أمر يؤمن بأنه لله أن يحمل حياته على كفه، وأن يلقي بها في وجه من يقف في سبيله، فإما فاز وظفر فبلغ ما يؤمن به من حق الله ، وإما استشهد فكان المثل الحي لمن بعده ، والذكر الباقي لروح عظيم عرف أن قيمة الحياة ما يضحى بالحياة في سبيله ، وأن الإمساك على الحياة في مذلة إهدار للحياة ، فما يستحق صاحبها بعد ذلك في الحياة ذكراً، وأن الرجل يلقي بيديه إلى التهلكة إذا هو عرّض حياته تعريضاً تذهب معه ضحية غرض وضيع ، وأنه كذلك يلقي بيديه إلى التهلكة إذا هو أمسك على حياته حين يدعوه

---

(١) المتغبر : الباقي ، إشارة إلى قوله تعالى : (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر).

داعي الحق – جل شأنه – ليقذف بها في وجه الباطل ليسحقه، فيواريها هو بالحجاب، ويخاف عليها الموت خوفاً هو شر من الموت ، وإذا كان التردد القليل من ابن رواحة ، مع إقدامه بعد ذلك واستشهاده قد جعله في غير مكانة زيد وجعفر، اللذين اقتحما صفوف الموت اقتحاماً ، وطارا للاستشهاد فرحاً ، فما بالك بالذي ينكص على عقبيه طمعاً في جاه أو مال أو غرض من أغراض الحياة؟! إنه إذاً للحشرة الحقيرة وإن عرض عند السواد جاهه ، وإن بذَّ مالَ قارون مالُه ، وهل لنفس إنسانية أن تغتبط حقاً لشيء اغتباطها للتضحية في جانب ما تؤمن بأنه الحق ، حتى تنتهي من ذلك إلى الاستشهاد في سبيل الحق أو إلى تمليك الحق الحياة[1] » .

---

(١) من كتاب « حياة محمد ﷺ » لمحمد حسين هيكل صفحة ٣٩٤ .

مَنَاقِبُه

«رحم الله ابن رواحة ، إنه كان يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»

محمد رسول الله ﷺ

مَنَاقِبُه

رأينا في مامر من الكلام عن ابن رواحة كثيراً من المناقب في التفاني والإخلاص، وإن الباحث ليقف له على فضائل دينية واجتماعية تجعله في الطبقة الأولى من عظماء الاسلام، ولو أنا نورد كل ماعرف من مناقبه، لرأينا كيف تكون الصورة المثلى للإخلاص والإيمان، والطاعة والحمية، وهي في مجموعها قمينة أن تبوىء صاحبها مكاناً علياً في المجتمع الناهض.

فاذا أضفنا إلى سجاياه ما كان من أمر شاعريته، وروايته لحديث الرسول ﷺ وجدناه من شخصيات التاريخ الاسلامي الرائعة.

ذكرت زوجه لمن تزوجها من بعده حين سألها عن صنيعه أنه: « كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا

دخل بيته صلى ركعتين ، لايدع ذلك[1] » .

وقالوا عنه: « كان عبد الله أول خارج إلى القتال، وآخر قافل منه[2] » .

وكان أحد الشعراء المحسنين الذين يردون الأذى عن رسول الله ﷺ والاسلام والمسلمين[3]

وكان من الذاكرين لله كثيراً.

قال أبو الدرداء : « أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة ، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثدييّ وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفيّ ، ثم يقول : « ياعويمر ، اجلس فلنؤمن ساعة » فنجلس فنذكر الله ماشاء ، ثم يقول : « ياعويمر ، هذه مجالس الايمان ، مثل الإيمان مثل قميصك ، بينا أنك قد نزعته إذ لبسته، وبينا أنك قد لبسته إذ نزعته ، القلب

(١) الاصابة (٢ : ٣٠٦-٣٠٧) وكان هذا الزوج الجديد قد قال لها : تزوجتك لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته !! فذكرت له أشياء كثيرة ومن جملتها صلاته في بيته في دخوله وخروجه .

(٢) الاصابة (٣٠٦ : ٣٠٧) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات الامام النووي .

أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانها » .

وكذلك كان شأن ابن رواحة مع غير أبي الدرداء ، فكان كلما لقي رجلا من أصحابه قال له : « تعال نؤمن بربنا ساعة » وقال عنه رسول الله ﷺ في حديث طويل : « نعم الرجل عبد الله بن رواحة » وقال ﷺ : « رحم الله ابن رواحة ،إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة[1] » . وقال : « رحم الله أخي عبد اللهبن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ[2] » .

وعن ابن أبي ليلى أن النبي ﷺ كان يخطب، فدخل عبد الله بن رواحة ، فسمعه يقول : « اجلسوا » فجلس عبد الله مكانه خارجاً من المسجد دون تأخر ، فلما فرغ عليه الصلاة والسلام بلغه ذلك ، فقال له : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

ومرض ابن رواحة مرة وأغمي عليه ، فعاده رسول الله ﷺ فقال : « اللهم إن كان أجله قد حضر فيسره عليه ،

---

(١) الإصابة (٢:٣٠٦)

(٢) رواه الطبراني وإسناده حسن .

وإن لم يكن حصر أجله فاشفه » فوجد عبد الله خفة ، فقال : « يارسول الله ، أمي تقول: « واجبلاه »وملك قد رفع مرزبة من حديد يقول : « أنت كذا ؟ ! » فلو قلت نعم لقمعني بها ».

وكان عبد الله بن رواحة ـ مريضاً ـ واضعاً رأسه في حجر امرأته ، فبكى ، فبكت امرأته ، قال : مايبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله عز وجل: (وإنْ منكم إلا واردُها) فلا أدري أنجو منها أم لا [٢].

وعاده رسول الله ﷺ مرة فما تجاوز له عن فراشه، فقال : « أتدرون من شهداء أمتي ؟ » قالوا: قتل المسلم شهادة، قال : « إن شهداء أمتي إذن لقليل !قتل المسلم شهادة ، والبطن شهادة ، والغرق شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاً شهادة ».[٢]

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر ، حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ٤٧٦)

(٢) الطبقات ٨١

في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة .» [1]

وقد ذكر أنه لما نزلت الآية القرآنية الكريمة : « ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ، مافعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتا [2] » فقال أناس من أصحاب النبي ﷺ : «لو فعل ربنا لفعلنا» خضوعاً لأمر الله، وطاعة لما أوجب، لأن قتل النفس أو الخروج من الديار ، من أشق الأمور على النفس .

فبلغ ما قاله الصحابة رسول الله ﷺ ،فقال : « للإيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي » ، أو قال : « إن من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » .

وقد ورد أن رسول الله ﷺ لما تلا هذه الآية الكريمة أشار بيده إلى عبد الله بن رواحة ،وقال :«لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل » [3] . وبحسب هـذه الشهادة أن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الصوم .

(٢) الآية ٦٦ من سورة النساء .

(٣) تفسير ابن كثير : (٢ : ٣٣٢ - ٣٣٣).

توضح لنا عن إيمان عبد الله رضى الله عنه .

وذكر في الحديث عن كرمه أن ضيفاً من أهله نزل عنده، وكان عبدالله عند رسول الله ﷺ ، فلما رجع إلى أهله وجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظاراً له ، فقال لامرأته : حبست ضيفي من أجلي ؟! هو (أي الطعام) عليَّ حرام ، فقالت امرأته : هو عليَّ حرام ، وقال الضيف : هو عليَّ حرام ، فلما رأى ذلك وضع يده ، وقال : كلوا باسم الله ، ثم ذهب إلى النبي ﷺ ، فذكر له الذي كان منهم ، ثم أنزل الله تعالى قوله الكريم : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين [1] » .

كل يدلنا على أن ابن رواحة كان الى جانب إيمانه وطاعته وإخلاصه رجل عمل ، وجد ، وكفاح وإذا تجلت

---

(١) الآيه ٨٧ من سورة المائدة ، ويري الشافعي وكثير من العلماء أن من حرم مأكلا أو ملبساً أو شيئاً ماعدا النساء ، أنه لايحرم عليه ولا كفارة عليه أيضاً لصريح ما ورد الآية الكريمة المذكورة ، (عن ابن كثير ٢ : ٦٢٧) .

لنا من الحديث عنه جوانب من الطواعية والاندفاع في نصرة الله ورسوله، فما كانت لتخفى عن الفكر جوانب الجد والسعي في حياته ، أي إنه كان في لغة عصرنا رجل عقيدة إيجابية يمسك بالحياة من طرفيها : إيمان لا ريب فيه ،وعمل لا وهن يتسرب إليه ،ولعل مما يظهر هذه الناحية العملية من تفكيره، ما أجاب به في تفسير كلمة وردت في قول الله تعالى : « مَن يَشْفَعْ شفاعةً حسنةً يَكُنْ له نصيبٌ منها، ومَنْ يَشْفَعْ شفاعةً سيئة يَكُنْ له كِفْلٌ منها ،وكان الله على كل شيء مُقيتا . »[1]

فقد سأله أحدهم عن لفظة (مُقيت) فقال : مُقيتٌ لكل إنسان بقدر عمله[2] .

أي أن الله يرزق ويقيت كل إنسان بحسب جهده وعمله،

---

(١) ورد أن معنى المقيت هو : الحفيظ ، والشهيد ، والحسيب ، والقدير ، والرزاق ، (الزمخشري وابن كثير) وقيل المقتدر أيضاً ، وأقات على الشيء اقتدر عليه (الزمخشري) .

(٢) ابن كثير (٢ : ٣٤٩).

لأن الكلمة مشتقة من القوت ،وهو يمسك النفس ويحفظها .[1]
فتفسير كلمة واحدة قد يدل على لفتة الذهن عند من يفسرها ، وهكذا نرى أن ابن رواحة رجل عقيدة ،وعمل،وحياته تثبت كل ذلك .

وكان رحمه الله شديداً على المنافقين ، وأشباههم ، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف ، تحته قطيفة فَدَكية ، وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه قبل وقعة بدر ، فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم عبد الله ، وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمَّر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ، وقال : لا تغبِّروا علينا ! فسلم النبي ﷺ ووقف ونزل ، فدعاهم إلى الله ، فقرأ عليهم القرآن ، فقال له عبد الله ابن أبيّ : يا أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول ، إن كان حقاً فلا

(١) الكشاف للزمخشري (١ : ٥٤٣) .

تؤذِنا به في مجالسنا ،وارجع إلى رَحْلك ، فمن جاءك فاقصص عليه .

فقال ابن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود ، حتى كادوا يتثاورون [1] ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا، فركب النبي ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له : « أي سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حُباب ؟ » - يريد عبد الله بن أُبيّ - قال سعد: يارسول الله ، اعف عنه واصفح ، فقد أعطاك الله ما أعطاك ، ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة [2] على أن يتوّجوه فيعصّبوه [3] ،فلما رُدَّ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك [4]، فذلك الذي فعل به ما رأيت . [5]

---

(١) يتثاورون : يتواثبون ويتخاصمون .

(٢) البحيرة : البلدة .

(٣) يعصبوه : يسوّدوه ويملّكوه .

(٤) شرق بذلك : غص به وهو مجاز .

(٥) حياة الصحابة «٣ : ٨٥ »نقلاً عن صحيح البخاري .

وكان رضي الله عنه داعية إلى الله ورسوله ، ينشط في دعوة الناس للدخول في الاسلام ، وإلى القارىء الكريم هذه القصة الطريفة في دعوته لأبي الدرداء صديقه ـ وقيل إنه أخوه لأمه ـ .

أخرج الحاكم في المستدرك عن الواقدي قال :

كان أبو الدرداء رضي الله عنه فيما ذكر ـ آخر أهل داره إسلاماً ، لم يزل متعلقاً بصنم له وقد وضع عليه منديلاً ، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام فيأبى ، فيجيئه عبد الله بن رواحة ، فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته وأعجل امرأته ، وإنها لتمشط رأسها . فقال أين أبو الدرداء؟ فقالت : خرج أخوك آنفاً . فدخل بيته الذي كان فيه الصنم ومعه القدوم ، فأنزله وجعل يقدّده فِلْذاً فِلْذاً وهو يرتجز سراً من أسماء الشياطين كلها : « ألا كل ما يدعى مع الله باطل » ثم خرج .

وسمعت المرأة صوت القدوم وهو يضرب ذلك الصنم ، فقالت : أهلكتني يا بن رواحة !فخرج على ذلك ، فلم يكن شيء

حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله ، فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكي شفقاً منه . فقال : ماشانك ؟ قالت : أخوك عبد الله ابن رواحة دخل عليَّ فصنع ما ترى . فغضب غضباً شديداً ،ثم فكر في نفسه ، فقال : لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم.[١]

وفي ختام الحديث عن مناقبه نقول : يكفيه فضلاًوشرفاً أنه من شهداء الاسلام في عهد النبوة ، وأن رسول الله ﷺ قد شهد له بذلك ، وعن هذا الأمر يقول الامام ابن كثير :

« شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة » .

(١) حياة الصحابة (١ : ٣٤٦).

ابنُ رَوَاحَـــة المحدِّث

ابنُ رَوَاحَــة المحدِّث

إذا عرفنا ما تقدم من حياة صاحبنا عبدالله واتصاله بالرسول ﷺ وجدنا من البداهة أن يكون له شأن مذكور في رواية الأحاديث النبوية الشريفة .

فقد روى عبد الله بن رواحة عن النبي ﷺ وعن بلال مؤذنه عليه السلام .

وروى عنه جماعة كثيرة منهم : ابن عباس ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك، والنعمان بن بشير ـ ابن أخت عبدالله ـ وأبو هريرة .

وأرسل عنه جماعة من التابعين كأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعكرمة، وعطاء بن يسار وغيرهم، وكل أولئك من عظماء الإسلام .

جاء عنه في مسند الأمام أحمد :[1]

« حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن رواحة : أنه قدم من سفر ليلا ، فتعجل إلى امرأته ، فإذا في بيته مصباح ، وإذا مع امرأته شي ، فأخذ السيف ، فقالت امرأته : « إليك إليك عني ، فلانة تمشطني » فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فنهى أن يطرق الرجل أهله ليلا » .

« حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يعمر بن بشر ، حدثنا عبد الله ، قال أخبرنا يونس ، عن الزهري، قال سمعت سنان بن أبي سنان ،قال سمعت أبا هريرة يقول قائماً في قصصه: « إن أخاً لكم كان لايقول الرفث ـ يعني ابن رواحة ـ قال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذاانشق معروف من الليل[1] ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣ : ٤٥١) .

(١) في البخاري : من الفجر .

من أخباره في الحديث

أورد القرطبي أثناء كلامه عن منع المُحْدِث من قراءة القرآن حديثاً ،أخرجه الدارقطني عن ابن عباس عن عبد الله ابن رواحة :« أن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب » .

وعن عكرمة قال: « كان ابن رواحة مضطجعاً إلى جنب امرأته ، فقام إلى جارية له ـ مما ملكت يمينه ـ في ناحية الحجرة ـ أي المجاورة ـ (وانتبهت امرأته ، وفزعت إذ لم تجده في مضجعه ، فقامت وخرجت فرأتـه) فرجعت إلى البيت فاخذت الشفرة ثم خرجت ، وقام عبد الله فلقي زوجه تحمل الشفرة ، فقال : مهيم[1] ؟ ،قالت : مهيم !! لو أدركتك حيث

(١) كلمة يمانية يستفهم بها ، معناها : ما حالك ، وما شأنك ، وما هذا الذي أرى بك ، ونحو ذلك .

رأيتك لوجات بين كتفيك بهذه الشفرة ،قال : وأين رأيتني؟ قالت :رأيتك مع الجارية !فقال : ما رأيتني . وقد نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب ، قالت :إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن - وكانت لا تقرأ القرآن ولا تحفظه - فقال يوهمها أنه يقرأ من القرآن :

شهدت فلم أكذب بأن محمداً رسول الذي فوق السموات من علُ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل في دينه متقبلُ
وأن التي بالجزع من بطن مكة ومن دانها كل عن الخير مُعزلُ

فقالت : زدني ، فأنشدها .

أتانا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مشهور من الفجر ساطعُ
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ماقال واقعُ
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

فقالت : زدني ، فأنشدها :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن محمداً يدعو بحقٍ وأن الله مولى المؤمنينا(١)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ : ٢٠٩) .

وأن العرش فوق الماء حق ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة غلاظ ... ملائكة الإله مسوَّمينا[1]

فوقع في نفسها أنه يقرأ القرآن ، إذ لايجرؤ على قراءته وهو جنب) فقالت : آمنت بالله وكذَّبت البصر ، وصدَّقَتْه فيما قال .

وغدا عبد الله على رسول الله ﷺ فأخبره ، فضحك حتى بدت نواجذه ﷺ[2]

ولا ريب في أن هذه الأبيات التي أوردها توهم الجاهل أنها من القرآن الكريم، لكثرة مافيها من الألفاظ القرآنية والمعاني الاسلامية ، وإن القارىء ليستنتج من هذه القصة إيماناً عميقاً ، وذكاء حولاً ، وروحاً مرحاً ،ومعرفة لنفسية المرأة الساذجة، كما يستنتج قوة يقين زوجة عبد الله ،والمستوى العلمي الذي كانت عليه ، وأشباهها كثير في العربيات ،ويشهد صورة عن غَـيْرة المرأة ورعونتها ، ومبلغ تفكيرها ، وما تتطلع إليه على رغم ماتجيزه الشريعة السمحاء .

---

(١) زيادة من روح المعاني للآلوسي .

(٢) الاستيعاب (١ : ٣٦٢) .

ابنُ رَوَاحَــةَ الشَّـاعِرُ

« كان عبد الله بن رواحة أحد الشعراء المحسنين الذين يردون الأذى عن رسول الله ﷺ والاسلام المسلمين »

الامام النووي

ابنُ رَوَاحَـةَ الشَّاعِرُ

إذا كان في مامر من الحديث عن ابن رواحة ما يجلّ قدره في المجتمع العربي الاسلامي ، فليس دون ذلك ماورد عنه فيما يتعلق بالدعوة المحمدية من ناحية الشعر ، وإنه لمن الإطالة في القول أن نذكر ما كان للشعراء من منزلة اجتماعية أيام العرب الأولى ،وما كان لأقوالهم من الأثر البليغ والنفوذ في مجتمع كان يعتز بالبيت من الشعر ، ويخشى كلمة تنزله إلى حضيض المهانة والعار . فالشاعر ــ وهو لسان قومه ، والمدافع عنهم ــ كان صحيفة الدعاية ، وصوت الكرامة يصطنعه الكبراء ، ويخشى أذى لسانه العقلاء ، ولهذا كانت مساهمة الشعراء في بنـاء مجد القبيلة لاتقل عن مساهمة الفرسان والأبطال ، وما أحاديث الأعشى والحطيئة وجرير ،وغيرهم في جاهلية العرب وإسلامها، لتخفى على المطّلع .

فإذا كان هذا مقام الشاعر الذي لا يقاتل ولا يحضر المعارك، فكيف إن كان فارساً مغواراً، وبطلاً متفانياً كابن رواحة؟! فهو إذن يضم المجد من طرفيه في الشعر والفروسية .

ولقد كان القتال بين المسلمين والمشركين لا يقتصر على الأسنة دون الألسنة ، إذ كان لمقاول الشعراء شأن خطير في النضال بين الحق والباطل .

وهذا رسول الله ﷺ يقول بعد أن انهزم المشركون يوم الأحزاب : « إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟ » فقام عبد الله بن رواحة فقال : « أنا » فقال ﷺ : « إنك لحسن الشعر » ، ثم قام كعب بن مالك فقال « أنا » فقال ﷺ « وإنك لحسن الشعر »[١] .

« وكان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام

---

(١) الأغاني (٤ : ٧ و ١٥ : ٢٨) .

والمآثر ، ويعيِّرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيِّرهم بالكفر لأنه أقبح المخازي ، وينسبهم إليه ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكان أشد شيء عليهم في ذلك الزمان قول حسان وكعب ، لاعتزازهم بمفاخر الجاهلية وتعزّيهم بعزائها ، وكان أهون شيء عليهم قول ابن رواحة لتنكبهم عن طريق الاسلام ، فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة »[1] .

ذكر ابن رواحة قال : « مررت في مسجد الرسول ﷺ

---

(١) الأغاني (٤ : ٤ و ١٥ : ٢٨) ، ونلاحظ أن جريراً كان يتقيّل طريقة عبد الله في هجائه للأخطل . ويقول الأستاذ أحمد الشايب في الكلام على الطريقة التي اتبعها الشعراء الثلاثة :

« نحن وإن كنا نوافق إجمالاً على هذا الكلام ، فإنا نلاحظ عليه :
أولاً : أنه وصف غالبي إذ لم يخل شعر حسان وكعب من وصف قريش بالكفر .

ثانياً : إن شعراً كثيراً قد ضاع مما هجيت به قريش ، لأن ما في أيدينـــا من شعر حسان وكعب يتصل بأيام الاسلام فقط ثم هو بعد كلام عام .
=

ورسول الله ﷺ جالس وعنده أناس من اصحابه في ناحية منه ، فلما رأوني أضبّوا إليّ [1] : « يا عبد الله بن رواحة ، يا عبد الله بن رواحة » فعلمت أن رسول الله دعاني ، فانطلقت نحوه فقال : « اجلس ههنا » فجلست بين يديه ، فقال : « كيف تقول إذا أردت أن تقول ؟ » ـ كأنه يتعجب لذاك ـ فقلت : « انظر في ذاك ثم أقول » ، قال : « فعليك بالمشركين » .

قال عبد الله : ولم أكن هيأت شيئاً ، فنظرت في ذلك ثم أنشدته فيما أنشدته :

=ثالثاً : إن المعاني الدينية عند حسان وكعب كانت في الغالب مدحاً في الاسلام ورسوله وشهدائه وجيوشه ، وكانت عند ابن رواحة كذلك وذماً في اليهودية والنصرانية والوثنية القرشية بوجه خاص. أمـــا هجاء قريش فكان أكثره جاهلياً أو على مثاله ، وكان أقله مهاجمة للرسول ولدينه . ولم يحفظ التاريخ الأدبي من هجائهم للرسول شيئاً أو شيئاً ذا بال . وتجد ابن هشام في أعقاب بعض القصيد يقول : وقد تركنا أبياتاً فيها إفحاش، وغالبها كان موجهاً إلى الرسول (الشعر السياسي ص٨٠).

(١) يقال : أضبّوا ، إذا تكلّموا متتابعـــاً ، وإذا نهضوا في الأمر جميعاً .

فخبِّروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر[1]

قال ابن رواحـة : فرأيت رسول الله ﷺ كره بعض ما قلت : أني جعلت قومه أثمان العباء فقلت :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور

وقـــد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

يا هاشم الخير إن الله فضّلكم
على البريـــة فضلاً ماله غِيَر

إني تفرست فيك الخـير أعرفه
فراسة خالفتهم في الذي نظروا

---

(١) البطريق : لقب يطلق على العظيم عند الروم ، وكان يلي لقب الحاكم الروماني في الشام ، وحينما علت منزلة الحارث بن جبلة الغساني عند الامبراطور جوستنيان جعله ملكاً على جميع قبائل العرب في سوريا ولقبه فيلارك وبطريق .

(الشعر السياسي للأستاذ أحمد الشايب ص ٤٧)

ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جلّ أمركما آووا ولا نصروا
أنت النبي ومن يحرم شفاعتــــه
يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبَّت الله مـا أتاك من حسن
تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

فاقبل النبي ﷺ بوجهه مبتسماً وقال: «وإياك فثبَّت الله يا بن رواحة». وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: سمعت أبي (١) يقول: «ما سمعت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من ابن رواحة. سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً: (قل شعراً تقتضبه الساعة وأنا أنظر إليك) فانبعث مكانه يقول:

إني تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم أن مــــا خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعتــــه
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

(١) هو الزبير بن العوام رضي الله عنه.

فثبّت الله مــــا آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا[1]

قال هشام بن عروة عـن أبيه : فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيداً ، وفتحت له أبواب الجنة فدخلها شهيداً »[2].

وكان شعراء قريش ينالون من هذه الدعوة الجديدة مثل عبد الله بن الزِبَعْرى وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ ، وقد كان أشد الناس عداء وهجاء له ، ثم أسلم هو وابن الزبعرى، وكفّرا عن زلاتهما وعما فرط منهما .

قيل للرسول ﷺ قبل إسلامهما : إن أبا سفيان يهجوك، فقام ابن رواحة ، فقال : « يا رسول الله ائذن لي فيه » فقال ﷺ : « أأنت الذي تقول : فثبت الله ...؟ » قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول :

---

(١) في رواية ابن هشام :

إني تفرست فيك الخير نافلةً — فراسة خالفت فيك الذي نظروا

أنت النبي ومن يحرم نوافله — والوجه منه فقد أزرى به القدر

(٢) الطبقات (٨١) أسد الغابة (٣:١٥٩) الاصابة (٢:٣٠٧)

فثبّت الله ما أعطاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

فقال ﷺ : « وأنت فعل الله بك مثل ذلك » فوثب كعب بن مالك ، فقال : « يا رسول الله ائذن لي » فقال ﷺ : « وأنت الذي تقول : همّت ... » فقال : نعم يا رسول الله أنا الذي أقول :

همت سخينة أن تغالب ربها وليُغلبنَّ مغالب الغلّاب

فقال ﷺ : « أما إن الله لم ينس ذلك لك »[1] .

وقال الرسول ﷺ مرةً لابن رواحة في سفر : « انزل فحرّك بنا الركاب » وكان عبد الله قد انصرف عن الشعر إلى القتال والسياسة والعمل من أجل الدعوة الجديدة ، فقال: « إني قد تركت قولي ذلك » فقال له عمر : « اسمع وأطع » فنزل وهو يقول :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنْ سكينةً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

(١) الأغاني (١٥:٢٨) .

الكافرون [١] قدبغَوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فقال النبي ﷺ : «اللهم ارحمه» فقال عمر رضي الله عنه: «وجبت» [٢].

ولعل ترك عبد الله لقول الشعر كان بسبب ما ورد في التنزيل الحكيم : (والشعراء يتّبعهم الغاوُون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » . روى هشام عن أبيه : أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة ، قال عبد الله بن رواحة : « قد علم الله أني منهم ! » فأنزل الله تعالى فيه وفي صاحبيه : حسان وكعب ، قوله تعالى : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وسيعلم الذين ظَلموا أيّ منقلب ينقلبون » [٣] .

وبهذا الاستثناء هدأت نفس عبد الله ونفس صاحبيه :

---

(١) في الأصل : إن الكفار

(٢) الطبقات ، ومعنى وجبت : أي وجبت له الشهادة وسينالها .

(٣) الاستيعاب (١:٣٦١) والآيات هي :٢٢٤-٢٢٧ من سورة الشعراء .

حسان وكعب ، إذ جاؤوا الرسول وهم يبكون لما حسبوا من ذم القرآن الكريم لهم .

ولعبد الله في الرسول أماديح كثيرة ، عدّه بها المتقدمون من كبار شعراء الاسلام ، إلا أن ما وصل إلينا من شعره قليل ، لا يكاد يعطي فكرة واضحة عن مناحيه الفنية . وكان مما مدح به الرسول ﷺ ـ وقيل إنه من أحسن ما قال ـ :

لو لم تكن فيه آيات مبينةٌ كانت بديهته تنبيك بالخبر[1]

وكان رسول الله ﷺ يأمره بقول الشعر في أعدائه ، حدَّث جويرية بن أسماء قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى »[2] .

وقال موسى بن شَبَّة : سمعت أبا وَجْزة السعدي[3]

---

(١) الإصابة (٢:٣٠٧) .

(٢) الأغاني (١٥:٢٨و٤:٦) .

(٣) أبو وَجْزة السعدي : يزيد بن عبيد السلمي السعدي ، أصله من بني سُليم ، كان منقطعاً إلى آل الزبير ، سكن المدينة ومات بها سنة ١٣٠ هـ .

يقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمة »[1].

تنزيهاً لشعرهم أن يكون في مساق الشعراء المذمومين ، من رجال الفحش في القول والبذاءة في اللسان ، مما كان يكرهه رسول الله ﷺ ويذمه كتاب الله عز وجل .

---

(١) الأغاني (١١:٧٦) .

الـديوان

وفيه من شعر ابن رواحة ما لم يرد من قبل في الكلام عنه

الـــدّيوَانـــ

شعر ابن رواحة :

لم نجد لعبد الله ديوان شعر مجموع ، بل يكاد يكون مامر من شعره مع ما سنروي له كل ما احتفظ به الرواة من كلامه، وهو في مجموعه لا يكوّن ديواناً يصح أن يقال لقائله إنه شاعر متفنن ،حتى إن الأغراض التي أكثر من القول فيها ، والخصائص التي رويت عنه في شعره،من أنه كان يعيِّر المشركين بشركهم، وغيرها مما تتميز به شخصيته الفنية ، لا تكاد تظهر بينة من مخلفاته الباقية .

ويظهر أن العصور الأولى كانت تعرف كثيراً من أقواله، حتى عده أبو زيد القرشي صاحب الجمهرة من أصحاب المذّهبات، ـ وهنّ للأوس والخزرج دون غيرهم من العرب ـ فجعل المذّهبة

الثانية لابن رواحة [1] ، والأولى لحسان بن ثابت ، وذكر ابن سلّام الجمحي صاحب طبقات الشعراء :أن عبد اللهبن رواحة أحد الشعراء الثلاثة الفحول من شعراء القرى العربية [2] ، وذكر أنه ليس في طبقته أسود منه [3] وأنه كان يناقض في الجاهلية قيس بن الخطيم شاعر الأوس

ولكن أين هي النقائض ؟ ذلك ما لم يدونه ابن سلّام [4] .

وأورد له القرطبي قصيدة في رثاء حمزة ، ومن الغريب

---

(١) الجمهرة ص ٢٤٣ .

(٢) يريد بها :المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين، والمدينة أشعرهن قرية : طبقات الشعراء (٨٣،٨٧-٨٨) .

(٣) أسود منه : أشرف منه .

(٤) « المناقضة في الشعر : أن ينقض الشاعر ما قاله شاعر سبقه إلى القول في الهجاء أو الفخر ، فيعمد الآخر إلى الرد على الأول هاجياً أو مفتخراً ، ملتزماً البحر والقافية والرويّ الذي اختاره الأول ، فلا بد من وحدة الموضوع فخراً أو هجاءً أو سياسة أو رثاءً أو نسيباً أو جملة من هذه الفنون المعروفة ؛ إذ أن الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض . ولا بد من وحدة البحر لأنه الشكل الموسيقي الذي يجمع =

أن حماسة أبي تمام لا تضم من أولهـــا إلى آخرها بيتاً واحداً منسوباً لابن رواحة ، وكذلك مفضَّليات الضَّبي من مجاميع المتقدمين ، وأن ابن قتيبة لم يـذكره بين الشعراء في كتابه عن الشعر والشعراء ، وأما من تعرض له ، فلم يأت بغـير نُتَف جمعناها من هنا وهناك حتى تم لنا ما تراه ، فلعل شعره قد ضاع قبيل القرن الثاني ، فلم يعرف عنه غـير القليل مما تعقَّبناه ، راجين أن يصبح ديوانا كاملاً مع الأيام .

أولاً : شعره الذي قاله في الجاهلية :

= بين النقيضتين ،ويجذب إليه الشاعر الثاني بعدأن يختاره الأول . ولا بد من وحدة الرويّ فذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة ، الـتي تعد جزءاً من النظام الموسيقي العام للمناقضة ، ولا بـــد من وحدة حركة الروي – على الأغلب – إتماماً لذلك التنسيق الوزني .

وأما المعاني فالأصل العـام فيها المقابلة والاختلاف ؛ لأن الشاعر الثاني همه أن يفسد على الأول معانيه ، فيردها عليه إن كانت هجاءً ويزيد عليها ، أو يفسرها لصالحه ، أو يضع إزاءها مـا هو فخر له » . (انظر ص ٣ وما يليهـا من كتاب تاريخ النقائض في الشعر العربي للأستاذ أحمد الشايب) .

المذّهبة وهي إحدى نقائضه (١)

قال ابن رواحة ، وهي مذهبته في الجمهرة :

تَذَكَّر بعد ما شطت نجودا وكانت تيَّمت قلبي وليدا
كذي داء يُرى في الناس يمشي ويكتم داءه زمناً عميدا
تَصَيَّدُ عورة الفتيان حتى تَصَيَّدهم وتشنأ أن تصيدا
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسيلاً خده صلتاً وجيدا
تزين معاقد اللبات منها شنوفاً في القلائد والفريدا
فإن تضنن عليك بما لديها وتقلب وصل نائلها جديدا

---

(١) رجحنا أن تكون هذه القصيدة من نقائض الشاعر التي رد بها على قيس بن الخطيم ، لورود نقيضة تشبهها في ديوان قيس أولها :

صرمت اليوم حبلك من كنودا لتبدل حبلها حبلاً جديدا

وفيها يقول :

فلن ننفك نقتل ما حيينا رجالكم ونجعلكم عبيدا

وفي هذا البيت إشارة إلى أنهم ملوك ، ولذلك أجاب ابن رواحة بقوله الآتي : « زعمتم ... » ونوجح بهذا أن تكون المذّهبة نقيضة وإن لم تشر إلى ذلك الجمهرة .

لعمرك ما يوافقني خليـــل
إذا مـــا كان ذا خُلّف كنودا
وقـد علم القبائـل غير فخر
إذا لم تلف ماثلة ركـــودا
بـــأنا تخرج الشتـوات منـا
إذا ما ستحكمت حسباً وجودا
قـدوراً تغرق الأوصـال فيها
خضيباً لونهـــا بيضاً وسودا
متى ما تأت يثرب أو تردها[1]
تجـدنا نحن أكرمها جـدودا
وأغلظها على الأعـداء ركناً
وأليـنهـا لباغي الخير عـودا

(١) تردها : تزرها .

وأخطبهـــا إذا اجتمعوا لأمر

وأقصدهـــا وأوفاها عهودا

إذا ندعى لثـأر أو لجـــار

فنحن الأكثرون بها عديدا

متى ماتدع في جشم بن عوف

تجدني لا أغمّ ولا وحيـــدا

وحولي جمـع ساعـدة بن عمرو

وتيم اللات قد لبسوا الحديدا

زعمتم أنمـــا نـلتم مـلوكـا

ونزعم أنمـا نلنـا عبيـــدا

وما نبغي من الأحـلاف وتراً

وقد نلنا المسـوّد والمسـودا

وكانـ نساؤكم في كـل دار

يهرشن المعـاصم والخـــدودا

تركنا جحجبى كبنـات فقع

وعوفاً في مجالسها قعـــودا

ورهط أبي أمية قد أبحنــــا

وأوس الله أتبعنـا ثمـــودا

وكنتم تدّعـون يهود مـــالاً

ألان وجـدتم فيهـا يهـــودا

وقد ردوا الغنائم في طريف

ونخّام ورهـط أبي يزيــــدا

من نقائضه

وكان مما قيل في غزوة بني النضير مناقضات كثيرة ، فقال عبد الله ـ فيما أورد ابن هشام ـ يرد على عباس بن مرداس ، وقيل إن القصيدة لكعب خلافـــاً لرأي ابن هشام : [1]

---

(١) ابن هشام (٢١٢/٣) .

لعمري لقد حلَّت رحى الحرب بعدما
أطارت لؤياً قبل شرقا ومغربا
بقيـة آل الكاهنين وعزهـــا
فعاد ذليلاً بعد ما كان أغلبا
فطاح سلام وابن سَعْية عنوةً
وقيد ذليلاً للمنايا ابن أخطبا
وأجلب يبغي العز والذل يبتغي
خلاف يديه ما جنى حين أجلبا
كتارك سهل الأرض والحزن همه
وقد كان ذا في الناس أكدى وأصعبا
وشأسٌ وعزَّال وقـد صَلِيا بهـا
وما غيباً عن ذاك فيمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما
وكعب رئيس القوم خان وخيبا

فبعداً وسحقاً للنضير ومثلها

إنَ اعقبَ فتح أو إنِ اللهُ أعقبا

ومن نقائضه

وقال قيس بن الخطيم في حرب حاطب وفي حرب بعاث (واليوم الأول على الأوس والثاني على الخزرج) :

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهب

لأسماء وحشاً غير موقف راكب[1]

---

(١) في رواية : لعمرة ركباً غير موقف راكب (ديوان قيس ، طبع ليبزيغ عام ١٩١٤ ، ص ١٠ و٣٦ وعمرة أم النعمان بن بشير الأنصاري وأخت عبد الله بن رواحة كما مر ، وقد ذكرها قيس في كثير من شعره كقوله :

لعمرة إذ قلبه معجب فأنّى بعمرة أنّى بها

وقيل : تغنى مغنٍ في المدينة بحضرة النعمان بن بشير فقال :

أجدّ بعمرة غنيانها فتجهر أم شاننا شانها

فقيل للمغني : اسكت ؛ فقال النعمان : لم يقل بأساً، وإنما قال (وهو مما في القصيدة) =

فأجابه عبد الله ناقضاً عليه قصيدته ، متغزلاً بليلى أخت قيس ، فقال :

أشاقتك ليلى في الخليط المجـانب
نعم فرشاش الدمـع في الصدر غالبي

بكى إثر مَنْ شَطَّت نواه ولم يقم[1]
لحاجة محزون شكا الحب ناصب

لدن غدوة حتى إذا الشمس عارضت
أراحت له من لبه كل غارب[2]

(تبين فـإن الحب يعلق مـدبراً
قديماً إذا ماخلة لم تصاقب)[3]

= وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها
(ديوان قيس ص ٨)

(١) لم يقف : في رواية ديوان قيس .

(٢) وراح له من همه كل عازب (الديوان) .

(٣) زيادة في رواية ديوان قيس على ما في الكامل لابن الأثير (الكامل ١/٤٢٠ ، الديوان ٣٧) وكذلك كل ما هو بين قوسين .

(كسوت قتودي عرمساً فنصأتها

تخب على مستهلكات لَوَاحب)

(تباري مطايا تتقي بعيونهـــا

مخافةوقعالسوطخوصالحواجب)

إذا عُيِّرت أحساب قوم وجدتنا

ذوي نائلٍ فيها كرام المضارب

نحامي على أحسابنا بتـــلادنا

لمفتقرٍ أو سائل الحق واجب

وأعمى هدته للسبيل سيوفنـــا

وخصم أقمنا بعدمـا لج ثاعب

ومعترك ضنك يرى الموت وسطه

مشينا له مشي الجمال مصـاعب

برجل ترى الماذيَّ فوق جلودهم

وبيضاً نقياً مثل لون الكواكب

فهم حُسَّرٌ لا في الدروع تخالهم

أسوداً متى تنشا الرماح تضارب

معاقلهم في كل يوم كريهة

مع الصدق منسوب السيوف القواضب

(فخرتم بجمع زاركم في دياركم

تغلغل حتى دوفعوا بالرواجب)[1]

(أباح حصوناً ثم صعَّد يبتغي

مطية حي في قريظة هارب)

ولعل منها قوله لقيس في حرب الفجار الأول ، حينما جرح قيس وأمر أن يحتمي عن الماء .

رميناك أيام الفجار فلم تزل

حمياً فمن يشرب فلست بشارب[2]

ولما قال عبيد بن ناقد الأوسي قصيدته أثر البقيع (وهو يوم للأوس) .

(١-٢) الكامل (١:٤١٥) .

لما رأيت بني عـوف وجمعهم

جاؤوا وجمع بني النجار قد حفلوا

قال عبد الله ينقض عليه قصيدته :

لما رأيت بني عوف وأخوتهـم

كعباً وجمع بني النجار قد حفلوا

قُدْماً أباحوا حماكم بالسيوف ولم

يفعل بكم أحد مثل الذي فعلوا

ولما قال قيس بن الخطيم قصيدته (بعديوم مضرس ومعبس)

التي فيها :

ألا أبلغ بني ظَفَرٍ رسـولاً

فلم نذلل بيثرب غير شهر

قال له عبد الله بن رواحة :

كذبتَ لقد أقمت بهـا ذليلاً

تقيم على الهوان بها وتسري[1]

---

(١) ديوان قيس ص٣٤ وابن الأثير (١٠:٣٠٧) .

ثانياً : شعره الذي قاله في الاسلام :

في جيش السويق

وقال عبد الله في بدر الآخرة حينما كانوا ينتظرون أبا سفيان لميعـاده ، ورجع المشركـون ، وسُمّوا جيش السويق ـ وأنشدها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك ـ:[1]

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجـد
لميعاده صدقاً وما كان وافياً

فاقسمُ لو وافيتَنا فلقيتَنـــا
لأُبْتَ ذميماً وافتقدت المواليا

تركنا به أوصال عتبة وابنه
وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله ، أفٍ لدينكم
وأمركم السيء الذي كان غاويا

---

(١) ابن هشام (٣/٢٢٣) .

فإني وإن عنَّفتموني لَقَائِـلٌ

فِدَىً لِرسول الله أهلي وماليا

أطعنـا ولم نعـدله فينا بغـيره

شهاباً لنـا في ظلمة الليل هـاديا

رثاء حمزة

وقال يبكي حمزة رضي الله عنه :[1]

بكت عيني وحُقَّ لها بكاهـــا

وما يغني البكاء أو العويل[2]

على أَسدِ الإله غـداةَ قـالوا :

أحمزة ذاكم الرجل القتيل ؟

---

(١) هذه القصيدة أوردها القرطبي (٤/١٨٨ – ١٨٩) لعبد الله ابن رواحة ، وكذلك أوردها ابن إسحاق . أما ابن هشام فيقول : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك (سيرة النبي : (٣/١٤٨) ، ويرويها صاحب أسد الغابة لكعب أو لعبد الله .

(٢) في ابن هشام : (ولا العويل) .

أصيب المسلمون به جميعاً
هناك ، وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدَّت
وأنت الماجد اَلبرًّ الوصول
عليك سلام ربك في جنان
مخالطها نعيم لا يزول
لا يا هاشمُ الأخيار صبراً
فكل فِعالكم حسن جميل
رسولُ الله مصطبر كريم
بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عني لؤياً
فبعد اليوم دائلة تدول (١)
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا
وقائعنا بها يشفى الغليل

---

(١) حرب تدور .

نسيتم ضرَبنا بقَليب[1] بـدرٍ
غـداةَ أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً
عليه الطير حـائمةً تجـول
وعتبةُ وابنـه خَرّا جميعـاً
وشيبةُ عضَّه السيف الصقيل
وَمترَكنـا أميـة مجـلَعِبـاً
وفي حيزومـه لَدْن نبيل[2]
وهام[3] بني ربيعـة سائـلوها
ففي أسيافنـا منهـا فلول
ألا ياهنـد لاتبُـدي شماتـاً
بحمزة إن عـزكم ذليـــل

(١) القليب : البئر لا يعلم لها حافر .
(٢) المجلعب : المصروع :إما ميتاً ، وإما صرعاً شديداً . اللـّدن: الرمح اللين . الحيزوم : الصدر . النبيل : العظيم
(٣) الهام : جمع هامة وهي الرأس .

ألا يا هند فابكـــي لاتَملّي
فأنت الواله العبرَى الهبول [1]

قتلى بئر معونة

وكان من قتلى بئر معونة نافع بن بديل بن ورقاء ، فقال عبد الله بن رواحة يبكيه [2] :

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابر ، صادق،وفيّ إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

وبعد :

فهذا ماوقع إلينا من شعر ابن رواحة رحمه الله ورضي عنه .

---

(١) الواله : شديدة الحزن والفاقد . الهبول المرأة الثاكل (الثكول) وهند هذه هي زوج أبي سفيان ، وهي التي لاكت كبد حمزة يوم بدر غيظاً وحنقاً !!

(٢) ابن هشام (٣ : ١٨٩) .

عبقرية ابن رَوَاحة

في تواريخ الأمم عبقريات، هي صفوة مزاياها ،وخلاصة طباعها وسجاياها ، تتمخض عنهـا الأيام ، في العصور بعد العصور ، وتنبثق منهـا الأنوار ، في الفترات بعد الفترات . وهي في جميع الأمم كالكواكب التي لا تبدو كل حين ،ولا تعرف بأشباهها في كل زمان ، ومن هنـا كانت الندرة في العبقريات العالمية ، والقلة في الخالدين على وجه الزمان .

ولقد تأتي على الأمم حقب ، تُقفر فيهـا آفاقها من أشباه أولئك ، فتسحب الظلمات عليها أردانها حِقبة من الزمان ، حتى توشك أن تغيب في ضياع ، وتتيه في ضلال ، إلى أن يُقيِّض لها من الهدى ما يُرشِد ،ومن النور ما يكشف ،ويرسلها الله في السبيل السوي، والمنهج القويم ، فتحفها العناية ،وتنقذها

الهداية ، فإن كان فيها بعدئذٍ أصالة العرق ، وكرم السجايا ، فقد صَقلت بالاهتداء إلى الخير ، ولمع جوهرها ، وشعت عبقريتها ، وجاءت بعدئذ بالعجب العجاب ، وخُلِّدت على الدهور والأحقاب .

كذلك كان شأن أمتنا ، عاشت قبل الاسلام حياة هي أشبه بالضياع ، مع ما كان فيها من كرم النفوس ، وصفاء الطباع .

كانت خيرة سجاياها في غير الطريق القويم ، وصفوة مزاياها لا تعرف المنهج المستقيم ، كانت تدور في أفلاك العقائد المنحرفة ، على تعدد مناحيها ، وكثرة مراميها .

كانت تخضع لنظم بالية من تقاليد الضلالة والأنانية والعصبية ، وهي كلها لا تطفىء ناراً ، ولا تكبح جماحاً إلا بمقدار ما تستجيب للأنانية الظالمة والحمية الطائشة .

كان ينقصها الشعور العميق الذي يربطها بالخالق عزَّ وجل ، والذي يكوِّن المثل الأعلى للمجتمع الناضل الكريم ، وهذا الشعور

الدقيق هو الذي يصفي القلوب من أضغانها، والنفوس من نزعاتها ، والعقول من مكائدها ، وهوالذي يأخذ على يد الجبار فيكسر من شرته ،وينير الطريق للسادر فيفيق من غفلته ، ويسد السبيل على المتمادي فينزع عن ضلته .

هذا الشعور العظيم الذي كان ينقص مجتمعنا القديم هو الذي يحتاج إليه كل مجتمع يريد لنفسه النجاة ، والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة .

ولقد تهيأ هذا لأمتنا على أكمله وأفضله بالهداية المحمدية ، بالنور المرشد ، والدليل الصادق ، والناصح الأمين .

ولقد صارع الهداية باطلُ ما كانوا يألفون ، ولكنْ من صارع الحق وتعداه ،صرعه الحق وأرداه ، ولو طال الصراع وبَعُد مداه . وفي غمرة ذلك الصراع القاسي انجلت عبقريات رائعة في أمتنا ، ما كنا لنعلم لها شبيهاً من قبل ، ولعل الزمان لايأتي بأشباهها من بعد .

لقد كانت عبقرياتٍ متعددة الجوانب ، مختلفة الآفاق ، على قلة مايكون ذلك في دنيا الأنام .

ذلك أن في الأمم رجالاً يتميزون في ناحية من الفضل مفردة أو في ناحيتين ، كالشاعر الحق مثلا ، لايعجز عن النثر الجيد ، وكالمشرّع في القانون، لايثقل عليه حسن الخطاب ، كل ذلك مما يكون مع المنحى الأول في صلة وقرابة . أما أن يجيد المرء ناحيتين من الفضل متباعدتين جداً ، فقلما يكون إلا عند الأفذاذ من الناس .

على أن في عبقريات أمتنا شيئاً من هذا عجباً ، فقد أنبتت هداية الاسلام ضروباً من العبقريات، متباعدة النواحي، متعددة الآفاق ، مع الإبداع والتجويد في كل منها .

فأبو بكر رضي الله عنه ، صاحب الفكر الراجح ، والاستشارة المتميزة، والوزير الأول في دولة الاسلام، فقيه عميق، وقاريء مجوّد، ثم هو قائد بارع، يتحمل تبعة حملة يقودها بنفسه، إذ يوليه الرسول ﷺ ثقته في قيادته الحربية ، إلى جانب ما كان عليه من استشارة وورع وفقه ومزايا كثيرة تكاد لاتعد .

وعمر رضي الله عنه ذو السطوة والهيبة والحكم الحازم، كان من أفقه ماعرف تاريخ الاسلام ، حتى كان في عظماء الاسلام

من يستقصى أحكامه العادلة ، وأقضيته الدقيقة ، وقد ذكر عن سعيد بن المسيّب ـ أحد كبار التابعين ـ أنه كان أعلم الناس بأقضية عمر ، فسمي راوية عمر .

وكان عمر فوق هذا قائداً لقوة أولاه فيها رسول الله ﷺ ثقته ، وجعل تبعتها عليه في قتال المشركين.

وكذلك كان علي رضي الله عنه باب المعرفة والعلم، وسيد الأبطال يوم النضال. وكذلك تقول في بقية الأصحاب والتابعين من أولي العبقريات المتعددة المتفتحة بفضل هداية الاسلام ، وكذلك تقول في بعض من جاء بعدهم .

ولعل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، شاعر النبي ﷺ ورفيقه ، الذي لا يكاد يغيب ذكره من أول إسلامه إلى أن لقي الله شهيداً في مؤتة ، لعله من أكبر الأمثلة على تلك العبقرية المتفتحة بالإلهام ، المتعددة الجوانب بالاسلام ، كما مر من قبل .

كان في الجاهلية زعيماً وسيداً في قومه الخزرج ، وكان شاعراً يناقض الشعراء ، وإذا عدّت نقائض الشعر الحجازي في الجاهلية ،

ذُكر عبد الله بن رواحة ، ومنافسه قيس بن الخطيم من كبار المتناقضين .

وجاء الاسلام فإذا هو نقيب في النقباء الاثني عشر من الأنصار في مطلع الدعوة ، يوم كانوا في مِنى يتخفّون من الناس ، ويتهيأون لنشر الدعوة في يثرب .

وتصاحب حياة ابن رواحة رضي الله عنه ، فإذا هو في مجلس شورى النبي ﷺ ، يُسأل عما يُفعل بأسرى بدر فيشير باستئصالهم ، وإذا هو في الخندق يحفر وينظم الشعر ويرتجز الناس به ، وإذا هو في بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ يدافع عنه بلسانه في الرد على شعراء قريش ،وبيده في قتال المشركين ، حتى يشهد العمرة آخذاً بزمام ناقة الرسول ﷺ في طوافه .

فإذا كان يوم مؤتة كان القائد الثالث للجيش بعد زيد وجعفر رضي الله عنهم جميعاً ، ويستشهد الثلاثة ، ويعود بالجيش خالد بن الوليد ، الذي كان تحت إمرة أولئك القواد الشهداء .

وتنظر قبيل مصرع ابن رواحة ، فإذا هو خطيب ، شاعر ، فارس ، مؤمن غاية الإيمان ، ذو رأي سديد ،وشجاعة نادرة ، وإخلاص لا يكاد يفوقه فيه غير القليل .

وكذلك كانت حياته قبل استشهاده : صحبة خالصة ، وإيماناً عميقاً ،وشجاعةنادرة ، وشعراً جيداً ،وتفانياًفي الدعوة، ذياداً عنها باليد واللسان .

وفي كل مشاهده مذ عرفناه بالاسلام إلى أن شهدنا مصرعه في مؤتة يمثل آفاقاً من العبقرية الملهمة ، وتفوقاً في مناحي الحياة المتعددة، مما لا نكاد نجد له شبهاً في الأمم الباقية .

تلك واحدة من عبقريات أمتنا ، صقلتها هداية الاسلام ، ووجهتها وجهة الإيمان الصادق ، لتشارك المشاركة الفعالة في حياة الأمة ، ورفعة شأنها ، على اختلاف الآفاق التي جالت فيها ، فإذا قلت : هذه أمتنا، فإنما هي هداية صادقة ، وشعور صافٍ ، وحياة متعاونة ، وإيمان عميق ، وإخاء صحيح ، وبناء ثابت ، ثم إنها عبقريات خالدة على الليالي والأيام .

إذا قلت : هذه أمتنا ، فإنما هي الأعمال الخالصة والأمجاد

التي أرسوا بنيانها للحياة الدنياوالحياة الآخرة ، ولم يكن ذلك بغير هداية الاسلام ، التي أخرجت العقول والقلوب والضمائر من الظلمات الى النور .

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك ، وألهمنا السداد من شريعتك ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

خاتمة

وبعد، فإلى هنا ينتهي بنا الكلام عن ابن رواحة، وقد عشنا معه حقبة من زمان، كشفنا فيها عن فضائله ومناقبه وخصائصه، فإذا هو فكرة سامية، وإخلاص بالغ.

وما كان الحافز الأول لاستطلاع آفاق حياته، وجمع ما وجد من شعره، غير أحياء مثال نحن في حاجةٍ إلى شبيهٍ له، واعتزازٍ بماضٍ مترعٍ بالبطولة والمجد، فقد كثرت الأمثلة الزائفة في الحياة، وترددت الدعوات إلى طرح الماضي المجيد، وأخذت طائفة من ناشئتنا المرجوة للأيام، تنطبع بمؤثرات أهواء ليس في واحد منها حمية للدين، أو غيرة على الأمة، وإنما هي منازع تنشد مادية الحياة الجافة، وتتهالك على مطامع الجسد البالي.

ألا وإن المثالية الرفيعة أجدر بالأمم الناهضة، وأشرف للجماعات الداعية، وإلى مثل ذلك فليعمل العاملون.

ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً.

المراجع

١ ـ أحاديث الشعر : (مخطوط لدى المؤلف من القرن السادس) للامام عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي .

٢ ـ أخبار الأمم والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط ـ ١٣٥٨/١٩٣٩ القاهرة و ط ـ ١٨٩٦ .

٣ ـ الاستيعاب : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ط ـ ١٣١٩ حيدر أباد ط ـ ١٣٥٨/١٩٣٩ القاهرة .

٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ط ـ ١٢٨٠ القاهرة .

٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط ـ ١٣٥٨/١٩٣٩ القاهرة . ط ـ ١٣٢٣/١٣٢٥ القاهرة .

٦ ـ الأعلام : لخير الدين الزركلي ط ـ ١٣٤٥/١٩٢٧ القاهرة . والطبعة الجديدة .

٧ ـ الأغاني : لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ط ـ قديمة ١٣٢٣ وحديثة ١٣٤٥/١٩٢٧ القاهرة .

٨ ـ الأمالي : لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ط ـ ١٩٢٦/١٣٤٤ القاهرة .

٩ ـ إمتاع الأسماع :لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ط ـ ١٩٤١ القاهرة .

١٠ ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي: لأحمد الشايب ط ـ ١٩٤٦/١٣٦٥ القاهرة .

١١ ـ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ط ـ ١٩٣٧/١٣٥٦ القاهرة وطبعة بيروت ، وطبعة الشعب (القاهرة) .

١٢ ـ جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ط ـ ١٣٣٠ القاهرة .

١٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ط ـ ١٩٣٢/١٣٥١ القاهرة .

١٤ ـ الحماسة :لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ط ـ ١٩١٦/١٣٣٤ القاهرة .

١٥ ـ حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاند هلوي ط دار القلم بدمشق ١٩٧٠ .

١٦ ـ حياة محمد (ﷺ) :لمحمد حسين هيكل ط ـ ١٣٥٤ القاهرة .

١٧ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر

البغدادي ط - ١٣٤٧ القاهرة وقديمة ط - ١٢٩٩ القاهرة .

١٨ - خطط الشام : لمحمد كرد علي ط - ١٩٢٦/١٣٤٥ دمشق .

١٩ - دائرة المعارف الاسلامية : (بالافرنسية) لطائفة من المستشرقين ط - ١٩١٣ ليدن - باريز .

٢٠ - ديوان قيس بن الخطيم : رواية ابن السكيت ط- ١٩١٤ ليبزيغ .

٢١ - سيرة النبي (ﷺ) :لعبد الملك بن هشام ط - ١٩٣٦/١٣٥٥ القاهرة .

٢٢ - شرح شواهد المغني : لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ط - ١٣٢٢ القاهرة .

٢٣ - رغبة الآمل من كتاب الكامل : (شرح كامل المبرد) : لسيد بن علي المرصفي ط - ١٩٢٧/١٣٤٦ القاهرة .

٢٤ - الشعر السياسي : لأحمد الشايب ط - ١٩٤٥ القاهرة .

٢٥ - الشعر والشعراء: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ط - ١٣٢٢ القاهرة .

٢٦ - ضبط الأعلام : لأحمد تيمور ط - ١٩٤٧/١٣٦٦ القاهرة .

٢٧ - الطبقات الكبرى: لابن سعد طبع لجنة نشر الثقافة الاسلامية ط - ١٣٥٨ القاهرة ط - ١٣٣٨ ليدن .

٢٨ ـ طبقات الشعراء: لأبي عبد الله بن سلام الجمحي ط ـ ؟ القاهرة.
٢٩ ـ العمدة : لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ط ـ ١٣٥٣
١٩٣٤ القاهرة .
٣٠ ـ عيون الأخبار : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
١٩٢٥/١٣٤٣ القاهرة .
٣١ ـ الكامل (في التاريخ) : لعلي بن محمد المعروف بابن الأثير
ط ـ ١٨٦٤ ليدن ، ط ـ ١٣٤٨ القاهرة .
٣٢ ـ معجم الأدباء: لياقوت ط ـ ١٩٣٨/١٣٥٧ القاهرة، ١٩٠٧ ليدن.
٣٣ ـ معجم الشعراء : لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني
ط ـ ١٣٥٤ القاهرة .
٣٤ ـ المفضّليات : لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي ط ١٣٢٤
١٩٠٦ القاهرة .
٣٥ ـ المؤتلف والمختلف : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
ط ـ ١٣٥٤ القاهرة .
٣٦ ـ الموشح: لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ط ـ ١٣٤٣ القاهرة.

فهرس

الصحيفة

أعلام المسلمين

سلسلة كتابية هادفة تترجم لأعلام المسلمين في شتى الميادين

تترجم هذه السلسلة لأعلام المسلمين وقادتهم، الهداة الدعـاة المخلصين، الذين عاشوا لهذا الدين : يخدمونه ، ويبذلون النفس والنفيس من أجله ، والذين كان همهم الأعظم في حياتهم نصرته ، ورفع لوائه ، ودعوة الناس إليه ، ومجاهدة أعدائه بالقلم واللسان أو بالسيف والسنان .

وستتسع إن شاء الله تعالى لرجالات الاسلام العظام، من عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى يوم الناس هذا ، وستكون بعونه تعالى فتحاً جديداً في عرض تاريخ الاسلام ، ممثلاً في سير أعلامه ، الذين كان لهم أكبر الأثر في حياة المسلمين وتاريخهم على مرّ العصور .

يشترك في تحريرها نخبة من أصحاب الأقلام الاسلامية الواعية